

الفنانون و المخابرات

طاهر البهي

علاقات مثيرة ونهايات غامضة

الفنانون والمخابرات

تأليف

طاهر البهى

إهـــــداء

إلى ابنتيَّ..

سلمى وشروق..

الأمـل والمعنــى الـذى أسـتمد منـه طاقة (نور) لعلـه يـدفعنى إلى الأمـام ولو خطوة فى طريق قـل مـن يحمـل فيه القناديل.

طـاهـــر....

فهرس الكتاب

قبل أن تقرأ

الفنان بتكوينه وبطبيعته يسعى دائما إلى القمة والقمة فى الفن – كما فى الحياة – هى قمة معنوية ليس لها آخر، فكلما صعد إلى درجة، أدرك أن هناك درجة أعلى لم يصل إليها.

ولذلك فالفنان هو فى حالة سعى دائم، وسفر، وبحث عن المجهول.. وهو يظل كذلك حتى يتوقف بفعل الزمن أو يسقط.. بفعل فاعل!!

وعندما تتداخل دائرة الفن مع دوائر السياسة والسلطة، يكون الطموح هو مركز إحدى هذه الدوائر، ولكن للأسف فإن النتيجة التى نراها من هذا التداخل، هى (احتراق) الفنان بفعل لهيب السياسة، فلا هو نجح فى تحقيق طموحه فى الشهرة والنجومية، ولا هو تخلص من السهام الطائشة التى تصوب إليها كما دار حديثاً فى الفن أو فى السياسة!

وبعض أبطال حكايات هذا الكتاب من الفنانين والفنانات، اقتربوا من السلطة، فاكتووا بنيرانها، إما لأنهم لم

يدركوا حجم المخاطرة التـــى أقبلـــوا عليهـــا، أو لأن روح المغامرة قادتهم إلى بلاط السلطة فجرفتهم بعيداً عـــن فـــنهم وجمهورهم – ولو لفترة كما فى بعض الحالات – ونخلـــص إلى أن الفنان (فنان) يعبر عن آمال وأحـــلام جمهـــوره وإن اضطر للتعبير عن أفكار السلطة، فإن ذلك يجب أن يكـــون وفق ما ارتضاه الشعب. كل الشعب، والخطر – كل الخطـــر – أن يلعب الفنان مع السلطة.. مع الكبار! وعالم المخابرات ملئ بالأسرار والحكايات التى تفوق الأساطير رغـــم أن مـــا وصلنا منها ليس إلا أقل القليل مما سمحت به الظـــروف أو الصدف، ومع الأسف فإن بعض الفنانين تم تجنيـــدهم تحـــت إغراءات معينة معظمها تدور حـــول مزيـــد مـــن الشـــهرة والنجومية، أو بعد النفاذ إليهم من نقاط ضعف خاصة بهؤلاء الفنانين، والمؤسف أن أكثر هؤلاء كانوا من النساء المنتميات إلى الفن، ورغم عددهن القليـــل إلا أن حكايـــاتهن ذاعـــت وانتشرت، والواقع أن استخدام المرأة وتأثيراتهـــا العاطفيـــة على الرجل ليس بمستحدث فى أعمال المخابرات والتجسس فى جميع أنحاء العالم، منذ القدم وفى التاريخ المعاصر.

ويعطى صلاح نصر رجل المخـــابرات المعـــروف مثلين لذلك، الأول عملية أطلقت عليها عملية لويس الرابـــع عشر – ملك فرنسا – وعشيقه شارل الثانى ملك إنجلترا، أما بطلة العملية فهى "لويز كوربالللى".

وتبدأ الحكاية عندما ظهرت "لـــويز" علـــى مســـرح الأحداث، واستخدمها لويس بارسالها إلى شارل، الذى كـــان يعانى من إفلاس خزينته، وعندما وصلت "لويز" إلى ســـرير ملك إنجلترا، أقنعته فى نفس اللحظة بالتوقيع علـــى معاهـــدة "دوفر" السرية التى تنص على انسحابه من الحلف الثلاثـــى ضد فرنسا، وكان ذلك مقابل ثلاثة ملايين من الفرنكات تنقذه من الإفلاس و... بضعة قبلات وأحضان دافئة يقـــاوم بهـــا برودة خواءه العاطفى!

المثل الثانى الذى يذكره صـــلاح نصـــر لاســـتخدام العواطف فى أعمال المخابرات، هو مثل من مصر، وبطـــل هذه الواقعة هو ضابط المخابرات البريطانى الشهير "لورنس العرب" الذى جاء إلى مصر والتقـــى بالعميلـــة "مرجريـــت داندريان" ونجح فى تجنيدها أثناء حفل أقيم فى فندق شـــبرد (القديم)، وكانت مرجريت من النشاط بحيـــث نجحـــت فـــى

اختراق عدد من الأسماء فى مصر، مستغلة أنوثتها الطاغية، وخلاعتها المتعمدة، وأحضانها المعروضة للبيع بدون مقابل – ظاهريا – إلا مقابل الثرثرة فى التفاصيل الدقيقة المسلوبة من أفواه مصادرها بنعومة تشبه نعومة يد السارق الذى يسلبك أموالك دون أن تشعر بوجوده أصلا.

وعن طريق الأخبار الخطيرة التى جمعتها الجاسوسة الحسناء المثيرة، هاجم البريطانيون – إبان احتلالهم المشئون لمصر – فيللا فى أطراف مدينة بورسعيد المصرية عثروا بها على مستودع ضخم من الأسلحة والوثائق الخاصة بمنطقة سرية مصرية، كانت قد أعدت خطة سرية لسد قناة السويس فى نقاط استراتيجية.. وأجهض هذا الحادث آمال الوطنيين المصريين فى فترة ساخنة من المواجهة مع الاحتلال البريطانى، لعب فيه سلاح الأنثى دورا كبيرا!!

ولذلك تأتى هذه العبارة "الصدمة" على لسان صلاح نصر الرجل الذى أسس جهاز المخابرات العامة فى مصر، وقاده فى فترة من أشد الفترات سخونة وهى الفترة التى لاقت بعد ذلك ما لاقت من هجوم وانتقاد عنيف ومحاكمة لعلها

مازالت قائمة حتى الآن.. يقول صلاح نصر فى كتاب عبد الله إمام "الثورة.. المخابرات. النكسة" (دار الخيال).

"نجحت بعض النساء العميلات لنا فى الكشف عن قضايا تخابر لم يكن فى استطاعة الرجال أن يصلوا إليها".

إن هذه الجملة – على قصرها وقلة عدد كلماتها تحمل تكثيفاً لكثير من المعانى، واختزالا لعشرات الأسئلة: لماذا المرأة دون الرجل، ما هى نوعية هؤلاء النسوة، ما هى صفاتهن، ما هى نوع القضايا التى نجحن فيها وتفوقن فيها على الرجال، ثم – ولعله الأهم – وإذا قدمن فى سبيل، إنجاح أعمالهن المثيرة، وأيضاً ماذا أخذن؟!!

* * *

إن المرأة التى خُلقت رقيقة، ضعيفة – فيما يبدو – تحمل سلاحاً فتاكاً، تشهره متى أرادت، وكيفما شاءت، فبعضهن يستخدمنه احتواءً للزوج – وهو حق مشروع على أية حال – فى حين أن الأخريات استخدمته فى الحصول على مكاسب من مال أو سلطة وبطريقة غير مشروعة بالطبع، وهن مسئولات عن الاستخدام الخاطئ لهذا السلاح الفتّاك – العواطف – ولا يلو من إلا أنفسهم إذا ما صدَّقنا –

شهادة صلاح نصر على هؤلاء النسوة، فهو يقول بـــالحرف "ونحن لا نرغم النساء على أى شئ مهما كانت النتائج"!

إذا كان هذا هو الحكم على النساء العاديات، تقصـــد غير المشهورات، اللاتى لا يمتهن مهنـــة يتـــربحن منهـــا، وليست لديهن موهبة ما يقضين الوقت فى إشباعها، وبالمرة تدر عليهن مالاً ينفق منه على احتياجاتهن المختلفة، فما بال الأمر بالنسبة لفنانات معروفات كن ملء الســمع والبصـــر، تتهافت عليهن العدسات وفلاشات التصوير، ما الذى جعــل أقدامهن تنزلق إلى الهاوية، هاوية الأعمال الخطـــرة التـــى تتطلب منهن تضحيات ليست بالقليلة، ولا بالهينة، هل أردن بذلك الانشغال فى أعمال مثيرة دفعتهن إلى ذلك أن حيـــاتهن قائمة أساسا على الإثارة المستمرة؟

أم أردن الحصول على مزيد من المـــال، رغـــم أن للمال طرق أخرى أكثر أمناً وهن أدرى بها؟

أم أردن "سُلطة" أو بالأحرى التقرب مـــن الســـلطة، وبالتالى إتاحة الفرصة أمامهن للقيـــام بأعمـــال الوســـاطة، و"التخليصات" والسمرة! أم أن أحداً قد دفعهن عامداً متعمـــداً إلى الهاوية؟!

إن صلاح نصر رجل المخابرات المتهم باستخدام الفنانات فى أعمال المخابرات "ضمن استخدامه للنساء بصفة عامة" يقول عندما سُئل:

- هل استخدمتم الفنانات؟ فإنه يرد دون تردد:

- عدد محدود.. لا يكاد يعد على أصابع اليد!!

وحسناً قال أن عددهن محدوداً، فالغالبية العظمى من الفنانين والفنانات المصريين يربأون بأنفسهم من أعمال بعيدة عن تخصصهم ومواهبهم التى أعطاها لهم الله لإسعاد الناس وتوعيتهم عن طريق الرسالة التى يحملونها فى أعناقهم.. ولكن تعالوا نقرأ إجابات صلاح نصر على أسئلة عبد الله إمام:

* هل كان ذلك بالضغط عليهن؟

- اللاتى تعاون معنا من الفنانات، رحبن فورا بالعمل معنا، ولكل واحدة منهن (ملف) موقع بإمضائها برغبتها، وكل واحدة من اللاتى تعاون معنا حصلت على أجر عما قامت به كاملاً. (إذا فالمال كان جزءا مهما فى هذا العمل!).

وبعض اللاتى يتشدقن الآن بالعفة، كانت تأخذ أجرها عن كل عملية تقوم بها!!

وفى موضع آخر يقول صلاح نصر: إن العلاقة بين رجل المخابرات والعميل هى علاقة سيد ومسود، الأول يدفع ويأمر والثانى يأخذ وينفذ..

هذا عن المال، فهل هناك شئ آخر؟ يقول صلاح نصر فى معرض حديثه عمّ يسمى بأعمال السيطرة على العميل بصفة عامة:

لأن المرأة أكثر تقلبا من الرجل، كان تصويرها ضروريا للسيطرة عليها عند اللزوم.

فهل تم استخدام هذا النوع من أعمال السيطرة (التصوير فى أوضاع مخلة) مع فنانات، هل كن يقمن بأعمال من هذا النوع المتدنى؟

الأوراق "الجادة" فى هذا الموضوع – وهى قليلة – لا تؤكد ولا تنفى، رغم وجود العديد من الأوراق الصفراء التى تذكر تفاصيل مهينة فى هذا الإطار، مع تأ:يدنا الشديد على أن عدد الفنانات اللاتى استخدمن فى أعمال المخابرات

عددهن قليل ولا يكاد يعد على أصابع اليد (كما اعترف مدير جهاز المخابرات صلاح نصر بنفسه).

* * *

وإذا كان الأمر كذلك بعد إنشاء جهاز المخابرات العامة فى مصر، فإن استخدام الفنانات لم يكن شيئاً من اختراع الجهاز ولا من متطلبات تلك المرحلة، فقد سبق ذلك حكايتين لفنانتين مشهورتين الأولى هى "ليليان ليفى كوهين" التى اشتهرت فى مصر باسم "كاميليا" وقصة علاقتها بالملك فاروق الأول ملك مصر، الذى يمثل السلطة فى أعلى مستوياتها وقتها، وكذلك ما قيل عن تورطها مع نجمة الألغاز الأميرة "أسمهان" – آمال الأطرش – التى جذبها ضوء السلطة فحامت من حوله كفراشة ملونة، هائمة، حتى احترقت من شدة الاقتراب، واختلف الناس فى حل لغز وفاتها المفاجئ – فى حادث سيارة – هل هى منافستها أم كلثوم، أم هو الملك فاروق نفسه انتقاماً من ترديدها لفضائح أمه الملكة نازلى، أم هو طليقها الأمير الدرزى، أم الإنجليز، أم الفرنسيون فى حين أشار البعض إلى الألمان بأصابع الاتهام.. كل هؤلاء تفرق بينهم دم أسمهان، الأميرة

المغامرة، التى كان ينتظرها فى الفن مستقبل رحب، وراحت تجرى وراء أوهام السلطة وجو المخابرات المثير، فانتهت هذه النهاية المأساوية السريعة دون أن يطول استمتاعها باللعبة الخطرة.

* * *

مع ملاحظة أن الفنان (الرجل) لم يكن بعيداً عن لعبة السلطة والمخابرات!

وفى السينما العالمية كانت ملكة الإغراء المتوجة مارلين مونرو نموذجاً مجسداً لاحتراق الفنان عندما يتخطى الخطوط الحمراء، إن مارلين كانت قد وضعت نهايتها بنفسها عندما أخرجت ذات يوم مفكرتها الحمراء وبها مجموعة من الأسرار الدقيقة سجلتها بعد لقاءات متعددة لها مع الرئيس الأمريكى جون كيندى وشقيقه المدعى العام قائلة: إنها ستدعو إلى مؤتمر صحفى عالمى تعلن فيه هذه الأسرار قائلة فى تحد: إن لديها الكثير لتقوله!

فهل ما حدث لها بعد ذلك من موت مفاجئ دراماتيكى سبقه مراقبة دقيقة ومحكمة خشية أن تقوم على إفشاء هذه الأسرار الدقيقة.. فهل هناك ربط بين الأحداث؟

* * *

وفى مصر ...

ما قصة السيدة "نون"، وهى سيدة من الوسط الفنى اشتهرت بارتباط اسمها باسم شخصية سياسية قيادية كبيرة، وكيف قيل إنها وقعت إقراراً بنفسها – على نفسها – عام ١٩٦٠ لتصبح مندوبة للمخابرات حتى قيل إنها اشتهرت بذلك فى الوسط الفنى، وانتهى بها الأمر إلى الزواج العرفى من الشخصية السياسية، وهى نتيجة لم تصل إليها فنانة أخرى فيما يبدو.

* * *

ولكن يبقى هناك من الفنانين من جاءتهم الفرصة، إلا أنهم لفظوها، البعض رفضها لأن العرض كان ضد مبادئه وضد الأخلاق المهنية كحالة الفنان الكبير يوسف وهبى الذى طاردته المافيا الإيطالية، ورفضها البعض الآخر إيماناً منه بقوميته وبمصريته ووطنيته، كما فى حالة الفنان سمير الإسكندرانى الذى ظنت فيه "الموساد" صيداً سهلاً، وحاولت تجنيده أثناء إقامته فى إيطاليا، فكشفهم ولطمهم لطمة شديدة أضيفت إلى صفعات سابقة ولاحقة.

وهذا الكتاب ليس موضوعه البحث في ملفات المخابرات، وإن كان يتعرض لذلك في جوء منه، وإنما هدف البحث في علاقات الفنانين بالسلطة التي يبدو أنها كانت حلماً وغاية لدى عدد كبير منهم، باعتبارها جزءاً من "الهالة" التي يحب النجوم – في الغالب – أن يحيطوا أنفسهم بها، ووسيلة لاكتساب بعض النفوذ تفيد بعضهم بالطبع في فرض سطوتهم ونجوميتهم على الوسطين الفني والاجتماعي.

ولعل ما سبق هو الذي أوقع بعدد من مشاهير الفن في شباك المخابرات، ولم يكن صعباً تجنيدهم، أو تجنيدهن، للقيام بأعمال جمع المعلومات بأية وسيلة!

صحيح أن هذه المعلومات كانت تقدم لمصلحة أمن الدولة في بعض الحالات وصحيح أن جهاز المخابرات العامة المصري على سبيل المثال كان يسعى للاستفادة من كثير من هذه المهام، وقام بناء على جزء منها بأعمال بطولية أذهلت العالم، ولكن الصحيح أيضاً أن الفنان كان يلعب في غير ملعبه، وأنه استخدم استخداماً ينافي طبيعة الخدمة التي يقدمها للناس، وبعيد كل البعد عن جو الإبداع الفني الذي تقدم بأوراق اعتماده من خلاله إلى الناس.

ولا يستطيع أحد أن ينكر مثل هذه المشاركات، فقد اعترف بها كل أطرافها، لدرجة أن المهندس حلمى السعيد، وهو الرجل الذى كان مستشارا للزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى الاقتصاد والتخطيط وقبلها أحد ضباط يوليو الأحرار (١٩٥٢) والذى أوكل إليه جمال عبد الناصر بالتحقيق فى القضية التى اصطلح على تسميتها انحراف جهاز المخابرات العامة" التى كان على رأسها مؤسس الجهاز صلاح نصر، لقد ذكر الرجل فى مذكراته أنه تم استدعاء (٤٤) سيدة وفنانة فى التحقيق الذى بدأ فى الساعة الثامنة مساء يوم (٢٨) أغسطس عام ١٩٦٧ وانتهى فى الساعة الحادثة عشرة من مساء يوم ١٤ أكتوبر من العام نفسه.

ونحن نعترف بأننا ليس بإمكاننا أن نحصى (كل) الحالات التى تعمل فيها الفنانون مع أجهزة المخابرات، ففى كل يوم تتكشف لنا فصول جديدة فى هذا السياق يكشف عنها الستار للمرة الأولى، ولعلى قنبلة الأيام القادمة ستبرز فى كشف بعض الفنانين عن حكايتهم المثيرة مع المخابرات (السلطة) وكيفية لعبهم مع الكبار، وقد كشف مؤخراً فناناً جميلاً لعب أدوار الفتى الأولى فى عدة أفلام جميلة من زمن

الأبيض والأسود ولكنه فى ذات الوقت كان يلعب لعبة أشـــد خطراً وإثارة هى لعب المخابرات... الفنان هو إيهاب نـــافع اعترف بلعبته المثيرة، وأن كان لعبها لمصـــلحة الـــوطن.. وسننتظر حتى يدلى الفنان إيهاب نافع بشهادته كاملة ثم يكون لنا بعدها حق التحليل والتعليق.. ومازلنا ننتظـــر أن يخـــرج الكثيرين عن صمتهم.

ودعونا نتعرف على الحكايات من أولها.

طاهر البهى

مدينة نصر - يوليه ٢٠٠٣

**talbahey@yahoo.co
m**

١

الفن فى خدمة السلطة

"للحق فإن الفن والفنان المصرى قد لعبا دوراً إيجابياً للغاية فى خدمة القضايا الوطنية فى مصر، ويشهد المراقبون المحايدون بأن هذا الدور الذى لعبه الفن والفنان كان بعيداً عن أية متاجرة أو مزايدة ولا يهدف إلى التقرب من السلطة...".

"مهما حاولنا أن نتخيل إلى أى مدى استفادت الثورة المصرية من الفن، فإننا لن نصل إلى تحديد لدرجة هذه الاستفادة بدقة! فقد لعبت الفنون على اختلاف أنواعها:

سينما، مسرح وأغنية، دوراً خطيراً فى الترويج لقيم ومبادئ الثورة الجديدة، وكانت الثورة من الذكاء بحيث عرفت حجم هذا التأثير من جانب الفن على الجماهير، فراحت تمد يدها لخلق نوع من التعاون المشترك "المثمر" بينها وبين أنواع الفنون المختلفة".

ففى الغناء كان صوت عبد الحليم حافظ، ذلك الموهوب العبقرى، هو المتحدث الرسمى – أو كاد أن يكون – وبأفكار العباقرة صلاح جاهين وعبد الرحمن الأبنودى وغيرهما، وألحان المبدعين كمال الطويل والموجى وبليغ حمدى، لدرجة أن حدثاً خطيراً وجليلاً مثل تأميم قناة السويس، تعيشه الأجيال الحالية بصوت "حليم" وتتفاعل معه أكثر من تفاعلها به من خلال صفحات كتب التاريخ، أو بعبارة أخرى، أن صوت حليم وصل أسرع وأبسط من

أصوات المؤرخين: "صرخة أطلقها جمال.. إحنا أممنا القنال".. فيتهلل الناس فرحاً وراحوا يغنون لزعيمهم خلف مطربهم: "ضربة كانت من معلم.. خلت لستعمار يسلم.."

ونلاحظ أنه إذا كان "حليم" هو نجم هذه المرحلة بغير منازع، فإن أستاذه محمد عبد الوهاب قد مجد أشخاصاً أكثر من تمجيده لمرحلة بعنيها، حتى أنه سمى "مطرب الأمراء والملوك" وإن كان لعب الدور نفسه بعد الثورة وقد فطنت الثورة، وبخاصة زعيمها الحقيقى جمال عبد الناصر إلى أهمية الدور الذى يلعبه فن الغناء، فتم – بشكل أو بآخر – تقوية صوت حليم ومساندته باعتباره يمثل هو نفسه نموذجاً لمن جاءت الثورة من أجله، شاب فقير، ضعيف، لا سند له، لا يملك إلا موهبته، فكانت الثورة بديلاً عن الأب الذى فقده قبل أن يرى كلاهما الآخر. كما نعرف جميعاً الدور الذى لعبته السيدة أم كلثوم – كوكب الشرق – فى دعم قضية بلدها أثناء "المجهور الحربى" وكان ذلك أيضاً هو دعم للسلطة الوطنية الموجودة وقتها، ولقد قال لى السيد محمد الدسوقى ابن شقيقة السيدة أم كلثوم والذى لازمها كظلها طوال ربع قرن من مجدها: إن ناصر كان دائم التردد على أم كلثوم

وكان يأتنس بالحوار معها، كما يؤكد على العلاقة القوية بينهما.

وفى المسرح كان هناك مسرح المبدع الكبير الراحل سعد الدين وهبة، نعمان عاشور، توفيق الحكيم وألفريد فرج، ومعهم نجوم ونجمات المسرح المصرى الذين ساهموا فى تشكيل وعى الجمهور المصرى فى عهده الجديد، ونستطيع أن نؤكد على أن الفنون قد استفادت بنفس القدر من الثورة، فأصبح هناك رعاية أكبر لها من قبل الدولة ومؤسساتها، فنضجت الفنون وتألقت وأينعت، وأصبحت فنون الستينات هى النموذج الذى نسعى لإحيائه محل معظم فنون التسعينات اتسمت فى معظمها بالتدنى.

كما لم تكن السينما بعيدة عن التأثير والتأثر بالثورة، بل كان النموذج هنا أوضح، باعتبار السينما هى ذاكرة الأمة ومرآتها، وهى الأكثر مقدرة على التأثير فى الشعوب، فحدث أن اهتمت الثورة بالسينما منذ اللحظات الأولى ففى الثامن من شهر أغسطس عام ١٩٥٢، وبعد أيام من قيام الثورة المصرية، أصدر السيد محمد نجيب المسئول الأول عن الثورة وقتها، بياناً للسينمائيين كان عنوانه "الفن الذى نريده"

جاء فيه "إن السينما وسيلة من وسائل التثقيف والترفيه، وعلينا أن ندرك ذلك لأنه إذا ما أسيئ استخدامها، فإننا سنهوى بأنفسنا إلى الحضيض، وندفع بالشباب إلى الهاوية".

وكان ذلك اعترافاً من الثورة بأهمية الفن (السينما) فى الارتقاء بالشعب وخاصة الشباب منهم، ولذلك فقد كان هذا بمثابة إعلان رسمى باحتضان الثورة لفن السينما، حتى أنه جاء فى البيان السابق الإشارة إليه صراحة أن: "السينما لها مكانتها عند النظام الجديد". وكان أيضاً انتظاراً وترقباً لأن تعلن السينما ولاءها ودعمها للنظام إذا ما كانت تؤمن بمبادئه. ويبدو أن السينما قد استقبلت الرسالة بوعى وبفهم لطبيعة دورها، ففى ذكاء وسرعة شديدين، بدأ السينمائيون يتسابقون بالمشاركة فى دعم وتأييد النظام الجديد وما يحمله من أفكار عن العدالة والحرية. ولذلك نجد اللواء محمد نجيب يسارع بإصدار بيان جديد فى يناير من العام التالى مباشرة ١٩٥٣، أى بعد خمسة أشهر من بيانه الأول يقول فيه بالحرف الواحد: "لقد استيقظت المعانى فى نفوس الفنانين، فأدركوا واجبهم، ووقفوا جميعاً فى صفوف النهضة يساهمون فى تشكيل البناء الجديد... بناء النهضة".

وبالتالى لم يكن مستغرباً أن تشكل الثورة لجنة رأسها المرحوم وجيه أباظة، كانت مهمتها ترتيب لقاءات بالسينمائيين تمهيداً لوضع تصوير للدور الذى ستقوم به السينما المصرية. وللحق – فإن السينما المصرية – وصناعها – قد تسابقوا للوقوف إلى جانب العهد الجديد، البعض عن إيمان واقتناع، والبعض الآخر لم يخل موقفه من شبهة مجاملة، وهو ما جعل ناقداً محترماً هو الراحل سامى السلامونى يكتب فى نشرة نادى السينما (بتاريخ ١٩/١١/١٩٧٩) قائلاً "إن موقف السينما المصرية من التاريخ موقف غير أخلاقى"! المهم أن الأفلام المهمة التى بدأت تسجل معارك الثورة مع قوى الخارج، ممثلة فى الاستعمار، والداخل ممثلة فى بقايا الإقطاع والرجعية، ظهرت مبكراً فى فيلم مثل "بورسعيد" الذى جاء بتكليف خاص من الزعيم جمال عبد الناصر إلى "نجم السينما المحبوب" فريد شوقى – كما وصفه عبد الناصر – وبعد الانتهاء من تصوير الفيلم الذى نعرف جميعاً قصته وأ؛داثه، رأى فريد شوقى أن يبعث برسالة شخصية إلى جمال عبد الناصر قائلاً: "كان هناك دور ينتظر الفن، دور أ:بر مما قام

به خلال المعركة، وهـو يسـجل وحشـية المسـتعمرين، وبربريتهم وخستهم وفظائعهم، وقررت أن أنتزع للفن شرف القيام بهذه المهمة الجليلة، فانتجت فيلم بورسعيدى الذى أقدمه اليوم مسجلاً فيه ما ارتكبته قوى البغى والعدوان من همجية وبربرية، وأخيراً أرجو أن أكون قد أديت بهذا الفيلم ما ينبغى أن أقوم به كمواطن مصرى يؤمن بالحرية.. توقيـع: فريـد شوقى".

الجميل أن السلطة بادلت فريد شوقى مشاعره، فكتب أنور السادات عضو مجلس الثورة كلمة طويلة يمتدح فيهـا الفيلم جاء فى آخرها:

"هذا هو فيلم بورسعيد الذى ستلمسون فيه الوطنيـة والإباء والتضحية والفداء".

وكانت هذه بدايات علاقة متينة بين أنـور السـادات وفريد شوقى، استمرت حتـى أصـبح السـادات (رئيسـاً) لجمهورية مصر العربية، فى حـين أصـبح فريـد (ملكـاً) للشاشة، فحرص السادات على تكريم فريد فى أحـد أعيـاد الفن، ولعل البعض لا يزال يتذكر كلمة السادات له يومهـا: "أبكيتنا يا فريد" كان يقصد دوره فى فيلم "لا تبكى يا حبيـب

العمر"، وهو ما يؤكد استمرار العلاقة بين الفن والسلطة، وإن كان معروفاً عن الرئيس السادات أنه كاد أن يصبح ممثلاً بعد أن تقدم بالفعل لإحدى المسابقات الفنية.

وفى العام نفسه كان هناك فيم آخر شهير جداً هو "رد قلبى" الذى جمع بين أربعة ضباط هم المؤلف يوسف السباعى، المخرج عز الدين ذو الفقار، واثنين من أبطاله هما الفنان أحمد مظهر ضابط سلاح الفرسان، والفنان صلاح ذو الفقار ضابط البوليس الذى قال لى فى صيف عام ١٩٨٨: إنه لم يخطر بباله التمثيل لولا شقيقه عز الدين ذو الفقار الذى طالبه بالاستقالة من البوليس والعمل بالسينما، رغم أن صلاح كان معلماً فى أكاديمية الشرطة، وكر لى أنه يعتز كثيرا بهذا الفيلم، فى حين أكد لى الفارس أحمد مظهر على نفس المعنى.

وكم كان الفنان المتميز كمال يس مؤثراً عندما قال عبارته الشهيرة فى الفيلم: ("إنجى بتاعتى تعبانى يا على") وطبعاً الكل يعرف إن "إنجى" التى يقصدها كمال يس الذى كان بدوره يمثل شخصية الرئيس جمال عبد الناصر، إنجى

التى يخصها بحبه وقلقه وسهره لتخليصها من مغتصبيها هى.. مصر.

وكم أشعلت مثل هذه المشاهد روح الوطنية فى قلوب الشباب المصرى، وألهبت نار الحماس والغيرة على البلد وشعبه، وكم تأثر المشاهدون بأفكار الحرية والعدالة والوطنية فى أفلام مثل "فى بيتنا رجل"، "غروب وشروق، بل وحتى فى أفلام حملت الطابع الغنائى مثل "المظ وعبده الحامولى" الذى كشف عن بعض مفاسد النظام البائد، وغيرها من الأفلام المهمة التى تعد علامات فى تاريخ السينما والوطنية المصرية فى آن واحد... وبعد ذلك لا تسأل: إلى أى مدى استفادت الثورة أو السلطة من الفن؟ ولا ما الذى استفاده الفن من السلطة، فالفن محتاج دائماً إلى سلطة واعية، تدعمه وقوية تسانده دون أن تخشى على نفسها من اقتلاع الفن لها إذا كانت جذورها غير ممتدة فى قلب شعوبها..

والفن قادر على ذلك. وللحق فإن الفن والفنان المصرى قد لعبا دوراً إيجابياً للغاية فى خدمة القضايا الوطنية فى مصر، ويشهد المراقبون المحايدون بأن هذا

الدور الذى لعبه الفن والفنان كان بعيداً عن أية متـــاجرة أو مزايدة وليس بهدف التقرب للسلطة.

* * *

ولعل أوضح مثال على كلامنا هذا الفيلم الجميل الذى يحمل عنوان "أيام السادات" وخرج علينا به صناعه وعلـــى رأسهم الفنان الجميل "أحمد ذكى" الذى اســتطاع أن يضـــع اسمه فى مقدمة من لعبوا الأدوار التاريخية منذ لعب شخصية عميد الأدب العربى الثـــائر "طـــه حســـين" فـــى المسلســـل التليفزيونى الذى حمل عنوان السيرة الزاتية لمفكرنا الراحل "الأيام"، ثم أكد الفنان المبدع أحمد زكى على مقدرتـــه فـــى استحضار روح الشخصية عنـــدما فاجأنـــا بتحضـــير روح الزعيم الراحل "جمال عبد الناصر" فى الســـيناريو المحكـــم الذى كتبه السيناريست المبدع محفوظ عبد الرحمن وبتفـــوق على النفس كانت مفاجأة "زكى بهذا الفيلم" المشار إليه "أيـــام السادات" الذى أعاد السادات "حياً" على الشاشة لمدة تزيد عن الساعات الثلاث. ومهما اختلف الـــبعض، أو خـــالفوا شـــبه الإجماع، على جمال وفائدة الفيلم – وهو ليس مجالناً – لكن يبقى السؤال الذى يقترب من موضوع هذا الكتـــاب: مـــاذا

استفاد أحمد زكى – كإنسان وليس كفنان – من تقديم فيلمين عن زعيمين راحلين؟

بالطبع فإنه لم يستفد شيئاً، لأنه لم يتقرب من سلطة، ولم يستفد من سلطان، لأن العصرين انتهيا تقريباً ولم يعد أصحابهما يملكان أن يمنحا أو يمنعا. إذاً فهذا هو دور الفنان الحقيقى والفن الحقيقى، يقدم شهادته على التاريخ وعلى الأحداث متجردة من أية حسابات إلا حساب الضمير.

وفى هذا السياق فإننا نقدر ونحترم بشدة هذا التكريم رفيع المستوى الذى منحته – السلطة – ممثلة فى أعلى مستوياتها عندما أمر الرئيس حسنى مبارك بتكريم أسرة فيلم "أيام السادات" بل وقلد بنفسه صناع الفيلم الأوسمة من أرفع الدرجات. ولم تكن "السلطة" فى حاجة إلى رد الجميل للفن – ممثل فى هذا الفيلم السينمائى – ولكنها انتبهت – وهذا شئ جميل للغاية – إلى تعبير الفن بهذا المستوى الراقى والإنتاج السخى لفترة ما من تاريخها، ورمز من رموزها، مهما اختلفت حولهما الآراء، أو تضاربت الشهادات، فاستحق صناعه التكريم المناسب.

* * *

إذا كان ما سبق يدخل فى نطاق العمل المشروع للفن والفنان، إلا أن هناك – مع الأسى والأسف – أدواراً غير مشروعة، اختلط فيها الأمر على "الفنان" ليس فى مصر وحدها، بل فى مصر وهوليوود، فلم يقنع بعض الفنانين والفنانات من هنا وهناك بالقدر الذى حققوه من الشهرة، فراحوا يبحثون عن "ألنفوذ"، فى حين سعى بعضهم إلى "الإثارة" فراحوا يحومون كفراشات ملونة حول "السلطة" ولم يتبينوا – لفرط سذاجتهم – الفارق بين الضوء الأخضر الذى يسمحج لهم بالعبور و"النفاذ"، والضوء الأحمر الذى يحذر من الاقتراب ويعلنها منطقة "نفوذ"! تصور بعض الفنانين – ومن حسن الحظ أن عددهم كان قليلاً – أنهم يستطيعون "اللعب مع أخطر مثل عصابات المافيا، كما فى حالة المطرب والسينمائى الأمريكى الشهير "فرانك سيناترا"، أما مارلين مونرو ونجم الإغراء اللعوب التى ظنت أنها مادامت تستطيع رفع ذيل فستانها بسهولة ودون خجل ليلتقط المصورون صوراً تذكارية لملابسها الداخلية ظنت واهمة أنها تستطيع بنفس السهولة أن تهدد الكبار جدا وأن تفضح بلداً بحكامها!

وفى مصر حاول البعض اللعب مع الكبار تقليداً لنجوم هوليوود الكبار، أو محاولة للانغماس فى "لعبة" والفن لعبة جميلة وهادفة، أو خلقاً للإثارة والمتعة، أو طلباً لشهرة أو نفوذ..

أصار حكم.. إننى فى أثناء بحثى للمادة الرئيسية لهذا الكتاب، كنت أتوقف طويلاً قبل تحليل كل شخصية.. كنت أحاول التعاطف مع كل بطل لحكاية من فصول هذا الكتاب.. كنت أشفق على بعضهم.. نعم.. كان يحدث هذا.

كنت أتوتر وأنا أسرد سطور كل فصل فى هذا الكتاب وكأننى أكتب سيناريو فيلم سيخرجه من جديد نجم الإثارة الأول "الفريد هيتشكوك" كان يحدث هذا وربما أكثر..

ولكن "التعاطف" لم يكن يأتينى فى معظم هذه الحالات.

كيف أتعاطف مع ممثلة – أو ممثل – مطربة – أو مطرب – يتمتعون جميعاً بالوسامة وبقدر لا بأس به من الشهرة كانت تزيد مع الأيام بدون شك خاصة مع توافر الموهبة. كيف أتعاطف وبالتالى أدعو قارئى الصديق لأن يشاركنى التعاطف، مع هذا الفنان وتلك الفنانة التى راحت

تخلع نعليها وتملؤهما بالتراب ثم تنهال بـه علـى تاريخهـا وربما – عفواً كل العفو – على جمهورهـا الـذى صـدّقها ومنحها تاج النجومية؟

تترك بإرادتها هذا الفن الجميل الذى يمكن أن تغيـر به خريطة العالم، وتترك مواهبها التى حباها بهـا الخـالق، وتذهب إلى أقرب سرير – عفـواً مـرة أخـرى – وتلقـى بجسدها عليه عارية الملابس والأخلاق، لترتمى تحت أقـدام مسئول طلباً لنفوذ أو تبركاً بسلطان.

ولا نتخيل – فى هذا السياق – ما قيل عـن عمـل بعض الفنانات مع جهات أمنية – مثل المخابرات فى فتـرة من الفترات – فى مهمة جمع المعلومات وبوسائل لا تليـق بفنانة أو غير فنانة مادامت تحترم نفسها وجسدها..

فى كل الحالات السابقة الخاسر هو الفنان الذى يبغى دوراً غير دوره، وعملاً يخاصم كرامة الفن، أما الفن فهـو براء من مثل هؤلاء، وهم بعددهم المحـدود لا يشـكلون أى تهديد لسمعة الفن والفنان، فهم ليسوا أكثر من مشهد فاسد فى فيلم ممتلئ بالأحداث الرائعة.

* * *

ولأن الفن براق، وكما أنه يجذب الفراشات الملونة فإنه يجذب إليه أيضاً الأنظار بقوة، مستمتعين بالنظر الدائم إليه وإلى فراشاته الجميلة، فإن هذه الفراشات الملونة أصبحت مادة للأحاديث والمسامرات والأخبار.. وهذه الأخبار إن لم تُوجد فإنها تُخلق خلقا.. ولذلك لم تسلم العديد من الفراشات الملونة من الأخبار الكاذبة، والشائعات الظالمة، حتى نالت من كثير من الفراشات وكادت أن تمزق أجنحتها.

فمن بين الفنانات والفنانين الذين اقتربوا من وهج ونار السلطة من طالتهم الشائعات وتحدثت عن أشياء كثيرة ربما لم تحدث على أنها وقائع وأسرار وكواليس لا يأتيها الباطن أبداً.

كما أن من بينها – الفراشات الملونة – من أقترب من السلطة فأفادها، كما فى حالتى السينما المصرية وأفلام الثورة، وحالة الفنان العندليب عبد الحليم حافظ الذى يعد بحق أجمل أغنيات الثورة..

* * *

لعل الهدف من هذا الكتاب – والنتيجة فى ذات الوقت – هى بيان أن الفنان له مجال وله أدواته فى التعبير

عن قضايا وطنه، عن أحلام شعبه وهو أجسهم أيضاً، فإذا كان ولابد أن يقترب من السلطة – أى سلطة – عليه أن يكون حذراً، فهذا ليس ملعبه، فإذا اقترب فليكن ذلك ليعبر عن رأى الناس وليس عن رأى الحكام. وليذكر أن ضوء السلطة المبهر يحرق الفراشات الملونة التائهة.

* * *



أسمهان

لغز الأميرة والملك

"إلا أن أسلوب حياة الأميرة لفت أنظار حكومة فيتش الموالية للألمان، فرصدتها عيونهم حتى صدر الأمر باعتقالها، وجاء من يحذرها ويطالبها بسرعة الهرب، وبالفعل استطاعت الهرب بمساعدة أحد أمراء البدو عن طريق التنكر فى زى عبد من عبيده، بأ، طلت يديها ووجها باللون الأسود فى مغامرة تشبه مغامرات السينما..."

١٥ يوليو عام ١٩٤٤ نشرت الصحف هذا الخبر المثير:

* طلخا فى ١٤ – كانت الفنانة السيدة أسمهان مستقلة سيارتها الخاصة وسائرة فى الطريق الزراعى المؤدى من القاهرة إلى رأس البر، تصحبها صديقتها الآنسة مارى قلادة، فحدث فى أثناء السير أن تردت السيارة – وكانت تسير بسرعة غير عادية – فى مكان شديد الانحدار "مطب" وسقطت على أثر ذلك فى ترعة الساحل على مقربة من بلدة شرنقاش، واستطاع السائق أن يقفز منها وينجو، ثم أخذ يستغيث فجأة بعض الأهلين والبكباشى محمود على الشامى مأمور المركز وأخرجوا الفنانة وصديقتها جثتين هامدتين فارقتهما الحياة. ويستطرد الخبر: وبعد ذلك أخرجت السيارة وقامت النيابة بتحقيق الحادث، وأمرت باعتقال السائق، وقد أبلغ نبأ الحادث إلى الأستاذ فريد الأطرش، فجاء فى المساء وتسلم جثة شقيقته وجثة رفيقتها بعد أن رخص بدفنهما فى القاهرة.

وقال سليم بك زكى وكيل حكمدار بـوليس القـاهرة لمندوب إحدى الصحف وقتها: إن أسمهان كانت تعبر عـن أمنيتها فى الإقامة بمصر بعد أن أحبت أهلها وعاشت معهـم حقبة من الزمن، وكأن الله أراد تحقيق هذه الأمنيـة فوافتهـا منيتها فى مصر. وعن أحد ألغاز الحـادث قالـت سـطور الخبر: إن التحقيق يدور الآن لمعرفة كيف قفز السائق مـن السيارة ونجا من الموت؟!

كانت هذه هى نهاية (حياة) أسمهان، ولكنهـا كانـت أيضاً حلقة فى سلسلة الألغاز التى أحاطت بالأميرة الدرزية، التى أرادت – فيما يبدو – أن يكـون لهـا دور فـى أءداث سياسية فى فترة ملتهبة من تاريخ المنطقة والعالم، كما أرادت أن تكسر النطاق الضيق الذى اكتسبت أهميتهـا منـه جبـل الدروز، باعتبارها أميرة اكتسبت مكانتها من أهمية عائلتهـا فى المنطقة ومن زواجها من الأمير حسن الأطـرش، أرادت – بعد أن أعجبتها لعبة السـلطة. أن تلعـب مـع الكبـار، وساعدها على ذلك ذكاء خارق كانت تتمتـع بـه الأميـرة أسمهان، وطموح زائد لم يستوعبه شهرتها الفنية التى حققتها فى القاهرة غنائياً أو سينمائياً، ربما بسبب ما أدركته بحسـها

من أنه لا يمكنها أن تكون النجم رقم واحد في سماء الفن في مصر، حيث كان في مصر هرماً فنياً اسمه: أم كلثوم!

لكن قبل ذلك لابد أن نعرف من هي الأميرة أسمهان..

ولدت أسمهان في ٢٥ نوفمبر من عام ١٩١٢ على البحر المتوسط، وعاشت جزء من طفولتها في سوريا على بعد مائة كيلو من العاصمة دمشق في جبل الدروز أبوها الأمير فهد الأطرش، وأمها الأميرة عالية المنذر، وعندما مات الأب خلال المقاومة الدرزية مع الفرنسيين، أخذت الأم أطفالها الثلاثة: فؤاد وأمال وفريد الأطرش الذي أصبح فيما بعد من أهم الموسيقيين والمطربين العرب حتى اليوم!

أخذت الأم أطفالها الثلاثة وسافرت بهم إلى حيفا ومن هناك أخذت قطار فلسطين إلى مدينة القنطرة المصرية، لتفتح أمام أولادها عالماً من المجد والشهرة بعد أيام من العذاب والفقر والحرمان، قاست خلالها الأسرة العذاب في شقة متواضعة في حي "باب البحر" الشعبي، ورغم ذلك كانت الأم حريصة على أن تلحق أبناءها بالتعليم، فالتحق فؤاد وفريد بمدرسة الخرفنش، بينما التحقت أسمهان "آمال" بمدرسة

الراهبات فى شبرا وهما مدرستين من بين المدارس الفرنسية التى كانت منتشرة خلال تلـــك الفتـــرة رغـــم أن الاحـــتلال الإنجليزى هو الذى كان يسيطر على مجريات الأمور.

وأمام الحالة الاقتصادية المتدنية وجد كلاً من فـــؤاد الأطرش وفريد الأطرش نفسيهما أمام مسئولية إعالة الأسرة، فعمل الأول فى أحد المعامل الطبية، بيما عمل فريد مســـئولاً عن توزيع البضائع على دراجة بدائية لحساب أحد المتـــاجر التى كانت تعمل فى بيع الملابس.

وفيما يذكر فؤاد الأطرش: كانت الأم تتمتع بصـــوت رائع الجمال، وكانت كثيراً ما تدندن أمام أولادها، فاستجاب لنداء الكروان كلاً من فريد وأسمهان، وتأثرا بذلك الصـــوت البديع، وكان فريد هو الأكثر جرأة فـــى الخـــروج بصـــوته خارج جدران البيت وتعرف على بعض كبـــار الموســـيقيين أمثال زكريا أحمد، وداود حسنى الذين ترددا على بيـــت آل الأطرش واستمعا إلى صوت أسمهان، وانبهر بموهبتها داود حسنى فتعهدها بالرعاية وتبنـــى موهبتهـــا، وأعطاهـــا داود حسنى اسماً جديداً هو الذى اشتهرت به حتى يومنا هذا وهو اسم "اسمهان" وقد كان اسمها الأصلى هو "أمال الأطـــرش"

بالإضافة إلى الاسم الذى كانت تناديها به الأسرة والمقربون وهو "إميلى" وتم استبدال الاسمين باسم "اسمهان"...

و.. كبرت أسمهان.. صارت أكثر نضـــجا.. أكثـــر أنوثة.. أكثر فتنة.. وزاد من وقع أنوثتها كونها لم تنس أنهـــا من عائلة أمراء، كانت تتعامل مع المحيطين بها ك "ليـــدى"، بل كأميرة، وكان لديها مقدرة غريبة على أن اجتذاب الرجال حولها..

وكان ذلك سبباً فى قلق والدتها وأيضاً شقيقها فـــؤاد، أما الشقيق الثانى فقد كان فيما يبدو مشغولاً برحلة صعودها، أو أنه كان ينظر إلى خطوات شقيقته بترقب!

وفى أحد الأيام فوجئت أسمهان بابن عمهـــا الأميـــر حسن الأطرش الذى تبين فيما بعد أن فؤاد الأطرش كان قـــد استدعاه لرؤية اسمهان حتى يصونها بـــالزواج إن أعجبتـــه، لأن فى عرفهم أن الدرزية لا تتزوج إلا من درزى مثلهـــا، وبالتالى فإن ابن عمها هو أحق الناس بها، ومع اللقاء الأول انبهر الأمير حسن بالسندريللا أسمهان، وطلب إتمام زواجهما فوراً والعودة بها إلى الجبل.. جبل الدروز..

نزل الأمر كالصاعقة على أسمهان التى كانت قد اعتادت على حياة المدينة الصاخبة، وكان الفن قد بدأ يعطيها شهرته وبريقه..

وأمام ضغوط الأسرة وافقت اسمهان على الزواج بشرط أن تكون إقامتها فى دمشق باعتبارها الأقرب إلى حياة المدن الكبيرة، وألا ترتدى الحجاب – زى نساء جبل الدروز – والشرط الثالث ألا يحرمها الزواج من التردد على القاهرة، على الأقل كل شتاء.

وسافرت أسمهان التى أصبح لقبها الرسمى بعد الزواج من الأمير حسن، هو الأميرة آمال الأطرش، سافرت بعد أن أقام لها الزوج قصراً فاخراً فى دمشق، وجعل لها حراساً من أقوى الرجال يرتدون زياً خاصاً، بالإضافة إلى سيارة فارهة وسائق خاص.. باختصار اكتملت "الهالة" حول الأميرة التى تركت – مؤقتاً – عرش الغناء، وهو عرش معنوى، إلى عرش الإمارة وهو عرش مادى، واقعى يرضى غرور وطموح أيه امرأة..

فهل قنعت الأميرة؟

الحقيقة أنها لم تقنع، ولا حتى بعد أن أنجبت طفلة جميلة للغاية أسمتها "كاميليا" وظل الحلم بالشهرة وبالنجومية يطاردها فى صحوها وفى منامها..

كان الزواج يقف حائلاً بينها وبين حلمها، كما كانت الأمومة حائلاً آخر وكذلك البعد عن القاهرة مركز الفن وبؤرة الضوء...

لذلك لم تجد أسمهان أن تترك قصر الزوجية، وأن تترك ابنتها لتحتضنها جدتها، وأن تترك الإمارة والوجاهة والمشاركة فى الحكم. نعم تركت كل هذا وعادت إلى القاهرة والحلم القديم يداعبها..

وفى القاهرة كان حكم الملك فاروق وقد بدأ، وسرعان ما تناثر الكلام عن طيش الملك الذى تزامنت سلطته مع مراهقته التى استغلها وقواها شلة المنتفعين التى تنبت شيطانياً بجوار كل حاكم جديد..

وأرادت الملكة نازلى والدة فاروق بإيعاز من الأميرة شويكار أن تضع حداً لطيش فاروق، فكان الأمر بزواجه من الملكة الراحلة فريدة، وكانت أسمهان فى تلك الفترة مطربة مشهورة، فدعيت للغناء فى حفل زفاف فاروق الذى أقيم فى

قصر عابدين، والغريب والمثير والطريف والمؤسف – كل هذا فى آن واحد – أن يشهد ذلك اليوم بداية إعجاب فاروق (فى ليلة زفافه) بالمطربة الأميرة أسمهان!

ولكن مفاجأة أخرى كانت بانتظار اسمهان ممثلة فى إعجاب أشد حرارة من جانب أحمد حسنين باشا رئيس ديوان الملك فاروق، ويبدو أن حسنين باشا قد استطاع أن يستميل أسمهان تجاهه، ويبدو أن أسمهان قد بادلته الإعجاب بمثله، ولكن على الجانب الآخر فإن الملكة نازلى والدة الملك فاروق كانت تعيش قصة حب ملتهبة – قيل أنها من طرف واحد – مع أحمد حسنين، وبالطبع فإنه لم يعجب الملكة الأم العاشقة أن تنافسها فتاة درزية حتى لو كانت صغيرة السن وتمتلك صوتاً كريستالياً وبشرة صافية وعيون خضراء لها سحر لا يقاوم!

كانت المواجهة عند هذا الحد أكبر من أن تواجهها أسمهان منفردة لا تملك إلا قوامها النحيل، ليس عندها شئ تواجه به الأعداء إلا صوتها، وهو رغم – قوته – لا يصلح فى مثل هذه المعارك الشرسة!

على الجانب الآخر من المواجهة كانت تقف نازلى – الملكة – بقوتها ونفوذها،

قوة السلطة ونفوذ السلطان ورعب التاج الملكى الذى تضعه على رأسها.. صحيح أن فاروق كان غير راض عن علاقة أمة برئيس ديوانه، ولكنه كان يغمض عينيه إتقاء لغضب الأم التى كانت لا تتورع عن أى فعل ترى فيه سعادتها حتى لو اتسم ذلك بالفضيحة!

كان لنازلى عيون وآذان عديدة زرعتهم لرصد تحركات معشوقها أحمد حسنين، وكان هؤلاء يساعدونها فى نسج سياج من الحماية حول الرجل الدونجوان الذى كانت ترنو إليه الكثير من المعجبات، وكانت نازلى حريصة على أن تبعده أولاً بأول عن هؤلاء المعجبات، ومن (عيونها) عرفت أن أحمد حسنين كثير الإعجاب بالمطربة أسمهان وأنه دائم التردد عليها فى مقر إقامتها فى فندق مينا هاوس، وأنه لم يعد يخشى الالتقاء بها علناً فى السهرات الاجتماعية..

وجن جنون الملكة نازلى، ولم يغفر لأسمهان زواجها المفاجئ من المخرج أحمد بدرخان، فقد رأت نازلى هذا

الزواج يمكن أسمهان من الحصول على الجنسية المصرية، فجاء القرار: لابد من إبعاد أسمهان عن مصر!

واستدعت نازلى موظفاً كبيراً فى القصر لمشورته فى الأمر والإيعاز إليه بأنها تريد إبعاد أسمهان فوراً عن مصر، فقال لها الرجل إن هذا ممكن لأن زواج بدرخان من أسمهان هو زواج عرفى غير موثق، ولكنه أضاف أن بوسع بدرخان أن يتقدم بطلب لتجديد إقامتها لمدة عام آخر فى مصر إلى أن يتحول عقد الزواج من عرفى إلى شرعى، وعندما لاحظ الرجل علامات الغيظ على وجه الملكة قال لها: إنه يمكن حل الموضوع عن طريق طلاق بدرخان من اسمهان، وقبل أن تكمل عدتها يتم ترحيلها حتى لا تتزوج من رجل آخر...

قالت الملكة: وكيف يتم الطلاق وبدرخان يحبها كل هذا الحب فيما أعلم؟

قال الرجل: نرسل إليه من يدس له بأن زوجته تخونه مع أحمد حسنين!

هنا قالت الملكة وهى تتهلل بالبهجة: نفذ فوراً.

وفعلاً ثار بدرخان لكرامته وطلق زوجته بسبب هذه الدسيسة التى لم يعرف حقيقتها إلا بعد (١٤) عاماً، بعد وفاة أسمهان!

أما أسمهان فقد اكتشفت الخطر الذى يحيق بها عندما تنتهى فترة إقامتها فى مصر، وكيف أن السلطات ستبادر بترحيلها فوراً فى مصر تلبية لرغبة الملكة نازلى، فبدأت تبحث بين معارفها وتوسط الباشوات والباكوات من الأصدقاء الذين بشروها فى البداية بأن الأمر سهل للغاية، ثم سرعان ما عدوا ليقولوا لها إن حصولها على الجنسية المصرية أمر صعب، بل مستحيل!

هى: ليه.. أنا عشت فى مصر أكثر مما عشت فى سوريا!!

قالوا: متأسفون.. إن جميع السلطات المسئولة تطلب مغادرتك البلاد فور انتهاء مدة إقامتك!

قالت: أنتوا باشوات ومش قادرين على طلب بسيط ذى ده؟

قالوا: سنصارحك.. إن هناك جهات عليا تدخلت فى الأمر لغير صالحك.

قالت: هل هى أم كلثوم؟

قالوا: لا.. إنها الملكة نازلى التى تدافع عن حبها لأحمد حسنين باشا، وتخشى من استمالتك له وسيطرتك عليه!

هنا ضحكت أسمهان ضحكتها الرفيعة الرنانة، ضحكت وهى تضع يدها على صدرها استجداء للضحكة التى عزت عليها وهى فى هذه الظروف القاسية، وضحكت حتى مالت برأسها إلى الوراء، رغم أنه كان يجب عليها أن تحنى رأسها إلى أسفل خجلاً من هزيمتها فى أول معاركها..

عند هذا الحد، وهذا الموقف، تكشفت لأسمهان أمور عديدة، فقد اكتشفت ضعفها الشديد، رغم أنها كانت تظن العكس بما كانت تحيط نفسها به من باشوات وعليه القوم، حتى أحمد حسنين رئيس الديوان الملكى خجلت من أن تلجأ إليه فى مشكلتها هذه، فحتما هو يعرف، كما يعرف الكثيرون، ولكنهم مثلها ضعفاء لا يقوون على المواجهة وربما تكون هذه الواقعة هى التى دفعت أسمهان لأن تسلح نفسها بالقوة فى مواجهة القوة!

لقد اكتشفت أنها إن أرادت أن تكبر وتعلو، فعليها النزول إلى حلبة الصراع ومواجهة الكبار!

ولكن قانون اللعبة هنا مختلف، فأنت لا تبارز بسيفك، بل بسيوف الآخرين، كما أنك لا تستمد قوتك من ذاتك بل من القوة التى تستند إليها وتركن ظهرك إلى صدرها.

ربما كان هذا هو الدرس المهم الذى تعلمته أسمهان من موقعة "نازلى / أسمهان" ولابد أنها قررت شيئاً فى ذلك اليوم، أو على الأقل كانت مستعدة لأن تأخذ قراراً يقويها....

كيف.........؟

لم يستمر زواج أسمهان من أحمد بدرخان سوى شهر أو أكثر قليلاً، ثم حصل الطلاق المدبر، وما تلاه من صفعة نازلى المدوية بطردها من مصر وإعادتها إلى جبل الدروز، وأحست أسمهان بالضعف والهوان، فأصيبت بالاكتئاب فى ذلك الوقت وفكرت فى الانتحار، وكانت الحرب العالمية الثانية قد بدأت، وكان الإنجليز يسعون إلى أن يساعدهم الدروز، وبدأت العلاقة بينهم وبين أميرة جبل دروز ومن بين "٤٩" كتاباً تناولت حياة أسمهان نتوقف عند

الدراسة التى كتبها البريطانى "نيكولاس فاش" عن أسـمهان والمخابرات البريطانية والذى يؤكد فى البدايـة أن العلاقـة بدأت فى القاهرة قائلاً: عندما قامت الحرب العالمية الثانيـة كانت أسمهان تعيش فى القاهرة وأصبحت مطربة مشـهورة وكانت القاهرة فى ذلك الوقت – رغم أجواء الحرب – واحة لحياة السلم، حيث كـان الضـباط البريطـانيون يغـادرون الصحراء ليقضوا إجازتهم فى القاهرة كأنهم يعيشـون فـى الفردوس!!)

وكانت سوريا ولبنان تحت سيطرة قـوات حكومـة "فيتشى" الموالية للألمان، وكانت خطة بريطانيا دخول سوريا ولبنان وطرد تلك القوات، وكانت هذه الخطة تقتضى الاتفاق مع زعماء جبل الدروز على عدم التعرض للقوات البريطانية عند عبورها الجبل للدخول إلى سوريا والسماح لها بالتقـدم دون مقاومة ومن هنا جاء دور أسمهان، فقد لجـأت إليهـا المخابرات البريطانية للاستعانة بها باعتبارها أميرة درزيـة ومطلقة أمير جبل الدروز "حسن الأطرش"...

كان دورها يتمثل فى إقناع زعمـاء الجبـل لتهيئـة الوسائل اللازمة لضمان نجاح تلك المغامرة...

ومن أجل نجاح مهمتها قررت أسمهان العودة إلى زوجها الأول الأمير حسن الأطرش. ومضت أسمهان في تلك الخطة، وحسب ما جاء في كتاب فرنسي حديث بعنوان "النيزك.. قدر أسمهان المحتوم" لكاتبة فرنسية من أصل لبناني تدعى "ماري سورا" تقول سطور الكتاب (حسب ترجمة روز اليوسف العدد ٣٧١٥) "عادت أسمهان إلى زوجها عام ١٩٤١، وكانت قد طلقت منه عام ١٩٣٩، وقررت أسمهان أن تضع نهاية لحياتها الفنية، وتكريس كل حياتها لأسرتها، ففي بيروت وفي إحدى السهرات الكبيرة قامت الأميرة بالظهور للمرة الأولى في ذراع زوجها الذي أصبح بعد ذلك بفترة وزيراً للحرب، وقابلت أسمهان الجنرال ديجول أثناء مروره بالشرق الأوسط، وقيل أنه التقى بها في مباحثات مهمة لوقت طويل وأنه أعجب بها وبجمالها وبثقافتها.

وتحكي الكاتبة نقلاً عن مصادرها أن أسمهان لم يكن يهمها الملابس الغالية ولا المجوهرات ولا أي شئ له ثمن، فقد كانت تلعب القمار في كازينوهات بيروت – التي سجلت فيها اغنيتها الرائعة ليالي الأنس في فينا – وتنفق ببذخ

وبدون حساب وانتهت حياتها سريعاً مع الأمير حسن للمرة الثانية بالانفصال.

ولكنها كانت مستمرة فى علاقتها بالمخابرات البريطانية، فاستطاعت أن تقنع مشايخ القبائل وكبرائهم بعدم التورط فى الحرب والمقابل: حقيبة مملوءة بالذهاب تلقتها من المخابرات البريطانية، وقامت بتوزيعها بأمانة شديدة.

ويبدو أنه حقاً لم يكن الملك ولا الذهاب يشغلان بال الأميرة أسمهان، بل أن كانت تبحث عن ("القوة" التى تمكنها من رد اعتبارها أمام الصفعة التى تلقتها من الملكة نازلى، والتى تساعدها على البقاء فنياً فى المكان والمكانة التى تريدها!

إلا أن أسلوب حياة الأميرة لفت أنظار السلطات التابعة لحكومة "فيتش" فى سوريا والموالية للألمان، فرصدتها عيونهم حتى صدر الأمر باعتقالها، وجاء من يحذرها ويطالبها بسرعة الهرب، وبالفعل استطاعت الهرب بمساعدة أ؛د أمراء البدو عن طريق التنكر فى زى عبد من عبيده، بأن طلت وجهها ويديها باللون الأسود فى مغامرة تشبه مغامرات السينما حتى وصلت إلى حدود الأردن ثم

فلسطين حيث سلمت المعلومات التى لـــديها إلـــى الجنـــرال "باص" وبعد يومين فقط زحفت قوات الحلفاء حتى تمكنت من دخول سوريا ولبنان وطردوا منها حكومة فيـــتش المواليـــة للألمان، وقد رافقت أسمهان قوات الحلفاء فى زحفهـــا علـــى سوريا ولبنان، فقدر لها الإنجليز هذا الدور المهـــم! وكـــذلك صنعت لنفسها مكانة لدى الفرنسيين وانهالت عليها المكاسب وأصبح لها سلطة ونفوذ، فأصبحت تتوسط بين شيوخ القبائل وبين سلطة الاحتلال فى بعض الأمور، ووعـــدها الإنجليـــز الرحيل إلى مصر بعد هدوء الأمر على جبهة سوريا ولبنان.

انغمست الأميرة فى حياة الترف والبـــذخ والســـهر والشراب، وهو ما جعل الجميع يتساءلون عن مصدر هـــذه الثروة التى هبطت على الأميرة، وهو مـــا جعـــل الجنـــرال "باص" رجل المخابرات البريطانية ينقلب على أسمهان ويفقد حماسة لها بسبب إدمانها للخمر الذى يتنافى مع التحكم فـــى النفس، وفى اللسان الذى هو ألف باء العمل بالمخابرات.

ومن المهم أن نقرأ هنا هذه الشهادة التى يقول فيهـــا صاحبها: شهادة فؤاد الأطرش الذى يقول فيها: "بدأ الجنرال باص ينظر لاسمهان على أنها مصدر خطر، فشـــرع فـــى

التخلص منها بكل هدوء، حيث كان يعرف أنها قوية النفـوذ بالنقود، والنقود من عنده، فقبض يده عنها، وبدأت أسـمهان تشعر ببوادر الإفلاس، ولكن هذا لم يثنها عـن بـذخها لأن الجنرال الفرنسى "كاترو" وثق علاقته بها لاستمالتها ولكـن المال الذى كانت تتقاضاه من الفرنسيين لـم يكـن يغطـى مصاريفها".

ومن هنا نكتشف انقلاب أول جهـة تعاملـت معهـا اسمهان، عليها، وهى المخابرات البريطانية، وإذا أضفنا إلى ذلك غيرة الملكة نازلى منها ومصلحتها فـى إبعادهـا عـن مصر – وربما عن الحياة، وزاد وعن الفجوة بينهما ما حدث من أسمهان تجاه الملكة نازلى فى فندق الملك داود بالقـدس، فقد كانت الملكة تقضى ليلة تـراقص الضـباط الإنجليـز، وعندما علمت أسمهان بوجودها تعمدت إهانتها أمام الجميع، رداً للصفعة التى سبق وأن تلقتها من الملكة فى القاهرة.

وهذه عدو آخر لأسمهان فى ألعاب الخطرة، عنـدما أوهمت صحفى أمريكى بأنها على اسـتعداد للتعـاون مـع الألمان، ثم استدرجته داخل قطار حتى ألقى الإنجليز القبض عليه، فخلقت لنفسها عداوة أخطر مع الألمان!

أما إذا كان صحيحاً ما قيل عن أنها حاولت الانقلاب على مخابرات بريطانيا وفرنسا واللعب مع الألمان ضدهما، بعد أن قل تقدير الأول لها، فإن الخطر يصبح أشد وأعنف!

ولكن من بين كل الاتهامات التى تناثرت حول المتسبب فى مصرع اسمهان، فإنه يشار دائماً إلى المخابرات الإنجليزية، فهذا هو عزيز المصرى باشا يحكى فى مذكراته.

"أبو الثائرين عزيز المصرى" الذى صاغه محمد عبد الحميد، يقول: "لما رأت المخابرات الإنجليزية أن ترك أسمهان أمر بالغ الخطورة، كان القرار بالقضاء عليها، وتم تدبير حادث مصرعها بالقرب من المنصورة، ثم أطلقوا الشائعات بأن أم كلثوم وراء مصرعها وعملوا على ترويج هذه الشائعة..

فى حين أشار البعض إلى المخابرات الفرنسية، والبعض الآخر أشار إلى المخابرات الألمانية، بينما أكد البعض أنها الملكة نازلى...

واختلط الأمر على المتابع المدقق، ولكن يبقى (الفعل) وهو هذه النهاية المأساوية لفنانة لم تقنع بدورها الفنى وراحت تلعب مع الكبار ظناً بأنها واحدة منهم..

وهذا هو الخطأ.....

* * *



كاميليا

بين السينما والتجسس

"وبدأت كاميليا تلفت إليها الأنظار فى الكلوب المصرى، بملابسها الفاخرة الملفتة للأنظار، وبرقصها المثير، فتنبه إليها "بوللى" أشهر صائد للنساء، ليس لنفسه، وإنما لمليكه فاروق الأول ملك مصر فى ذلك الزمان"

الإثارة والألغاز فى حياة هذه النجمة المثيـــرة منـــذ مولدها وتحديداً فى اليوم الثالث عشر مـــن شـــهر ديســـمبر عام)١٩١٩)، فرغم أن هذه المولودة الطفلة التى اســـتقبلتها الدنيا فى ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم، رغم أنها سجلت فى سجل المواليد باسم "ليليان فيكتور كوهين" ورغـــم أنهـــا نسبت إلى ذلك الأب إلا أن الكثيرين قد أكدوا أن "ليليـــان" لا تمت إلى ذلك الرجل بأية صلة، وحل ذلك اللغز بسيط للغاية عند من كشفوا أوراقه، فالأم "أولجا" – اليونانيـــة الأصـــل – تزوجت ثلاث مرات، الزواج الأول من موظـــف ســـكندرى مسلم الديانة، والثانى من تاجر موبيليا شهير وقتها – وهـــو سكندرى أيضاً – مسيحى الديانة، أما الثالث فهـــو المـــدعو "فيكتور كوهين" وهو كما يتضح من اسمه يهـــودى الديانـــة ومن هنا نكتشف الاكتشاف الأول وهو أن "أولجـــا" – الأم – قد جمعت فى زيجاتها بين الديانات السماوية الثلاثة المنزلة، ولسبب غير مفهوم اختارت "أولجا" الزوج الثالـــث لتنســـب ابنتها المولودة له، ليصبح اسمها فـــى الســـجلات الرســـمية

"ليليان فيكتور كوهين" إلا أن "فيكتور" أنكـــر هـــذه البنـــوة وانتزع من الأم "أولجا" تعهداً بألا ترثه هذه الابنة المزعومة (حرص يهودى معهود وخوف على المال حتى بعد الرحيل!)

ويبدو أن تهديد اليهودى الغاضب قد حقـــق المـــراد، فنجد الأم تذهب بمولودتها "لتعميدها" فى الكنيسة استناداً إلى ديانتها (وإن كنا سنكتشف فيما بعد ميـــول ليليـــان – التـــى ستصبح كاميليا – إلى اليهودية وما قيل عن الخدمات السرية التى قدمتها لإسرائيل.

كبرت البنت والتحقت بمدرسة السبع بنـــات، وهـــى مدرسة تديرها وتشرف عليها الراهبات، وظلت فيهـــا حتـــى بلغت الثالثة عشرة من عمرها، وإلى هنا كان كل شئ فـــى حياة هذه الفتاة يسير على مـــا يـــرام، فمـــدارس الراهبـــات معروف عنها الحزم والصرامة فى تربية الأولاد والبنات، بل وبصفة خاصة (البنات)، إلا أن الفتاة "ليليان" التى أصـــبحت على أولى درجات سن المراهقة، قد اكتشفت تفجر مظـــاهر الأنوثة فى جسدها الذى بدا وكأنه قد نضج قبل موعده!

ويبدو أن والدتها قد لاحظت ذلك – ولابد أن تكـــون قد لاحظت – فخافت عليها، ليس مستبعداً على مثل تلك الأم

أن تخشى على ابنتها من زحام العاصمة، ومن شراسة نظرات القناصين لغزال شارد، فألحقتها بإحدى مدارس مدينة الإسكندرية، لتكون تحت بصرها وحمايتها.

ولكن النتيجة جاءت عكسية، فالفتاة جميلة، مثيرة، ذات قوام فارع، ممشوق، كل ما فيها مثير، محرض على نظرات الرجال، فالبشرة بيضاء بلون الصفاء، تنير من وجهها عينان براقتان، ساحرتان، تدعواك للسفر فيهما – ومعهما – إلى المجهول، شفتان مكتنزتان بلون حبات الكريز، كأنهما تنتظران دوما.. القُبل!

والتقطها أول ما التقطها ضباط الاحتلال الإنجليزى، (وكأنها ناقصة)، ويبدو أنهم رأوا فيها اجتماع نموذج الجمال الأوروبى (الشعر الذهبى والبشرة البيضاء) بسحر الشرق وجاذبيته، إضافة إلى القوام الممشوق، وقد لاقت مغازلاتهم استجابة من جانب هذه الفتاة التى كانت تبحث عن مغامرة..

وهكذا وضعت "ليليان فيكتور كوهين" قدمها على أول درجة من السلم الذى سيصعد بها إلى... الهاوية!

* * *

نحن الآ، فى القاهرة حيث قررت "ليليان" أن تـــأتى إلى العاصمة تبحث عن (شئ) عن (شخص)، لم تكن حتـــى هذه اللحظة تعرف ما هو الشئ الذى جاءت القاهرة تبحــث عنه، ولا من هو الشخص الذى سيساعدها فى الحصول على ما تريد ولكنها رغم ذلك قد جاءت!

فى البداية نزلت فى فندق سميراميس بمساعدة بعض الضباط الإنجليز الذين تعرفت عليهم فى الإسكندرية..

وفى القاهرة التقطها دونجوان الأربعينات الفنان أحمد سالم، ويبدو أنها رأت فى أحمد سالم الشخص الــذى كانــت تبحث عنه، فهو رجل ذو جاذبية تسكر النساء اللاتى يبحــثن عن متعة من نوع خاص، كما أنه رجل ســخى بطبعــه لا يعرف البخل، ويحب المال لينفقه، أيضاً فإن أحمد سالم كـــان فى نظر "ليليان كوهين" هو البوابة الذهبية للدخول إلى "الفن" الذى اكتشفت أنه "الشئ" الذى كانت تبحث عنه، والذى يمكن أن تعبر منه إلى نوعية الحياة التى تريدها، الشهرة والمـــال والاستمتاع والإثارة! لعل الأخيرة "الإثارة" كانت هى الشـــئ المحدد الذى تبحث عنه هذه الفتاة التى سارت حياتها علـــى نحو يجعل الباحث يضع عشرات من علامات التعجب بعــد

ذكر كل خطوة كانت تخطوها، وكل موقف طُلب منها أن يكون لها رد فعل تجاهه!

* * *

نحن الآن داخل شقة الفنان أحمد سالم بشارع عبد الخالق ثروت بمنطقة وسط مدينة القاهرة، كان ذلك فى ربيع عام ١٩٤٦، وقد وجه الدعوة إلى عدد كبير من المحررين الفنيين للإعلان عن اكتشاف جديد له، ووسط لهفة الصحفيين وهرولتهم إلى الفنان المغامر كانت المفاجأة: فقد وقع بصرهم على فتاة عارية تماماً، عفواً.. هكذا خيل لهم فى بداية الأمر، ولكنهم سرعان ما اكتشفوا أنها ترتدى "مايوه" بلون الجسم تماما، ومن شدة التصاقه بجسدها الممشوق، كان يكشف أكثر مما يستر، ويكاد يُصرح بما يخفى!

لم يكن الصحفيون فى حاجة بعد ذلك إلى ما قاله أحمد سالم، من أن الفتاة التى تقف أمامهم بابتسامتها المغرية، وأنوثتها الطاغية، هى أحدث اكتشافاته الفنية، لم يكونوا بحاجة إلى هذه الجملة لأنهم فطنوا إليها، واستنتجوها، وأضاف أحمد سالم أنه وقع عقد احتكار مع بطلته الجديدة لمدة ثلاث سنوات للعمل معه فى أفلامه، وأن باكورة إنتاجه

لها سيكون فيلماً بعنوان "الســت الكبيــرة"، ومــع الأســئلة المتلاحقة التى انهالت على البطلة السينمائية الجديدة، أبــدى البعض ملاحظة حول لكنتها "الخواجاتى" التى قد لا يتقبلهــا الجمهور المصرى، وكان رد الدونجوان أحمد سالم بأنه قرر أن يعهد إلى مجموعة من المدرسين فــى مختلــف العلــوم والفنون، بما فيها اللغة العربية، لتثقيفها وتعليمها وصقلها....

وجاءت الصفحات الفنية فى الأيام التالية تحمل نبــأ الاكتشاف السينمائى الذى سيهدد عرش النجمات "الفيــديت" الجميلات، وراح البعض يصف النجمة القادمــة بــدءاً مــن شعرها الذهبى وعينيها الفاتنتين، وشفتيها المكتنزتين...

من ناحية أخرى بدأت "ليليان" التى أصبحت "كاميليا" كما أطلق عليها الدونجوان تشبيها لها ببطله الرواية العالمية الشهيرة "غادة الكاميليا" – والصدفة أن بطلة الرواية كانــت تبحث عن المتعة وتجرى وراء اللذة.. فهل كانت صدفة؟! – بدأت كاميليا تظهر فى السهرات متعلقة بذراع "الجونجوان"، فكان الجميع يحسدون عليه استيلاءه على صــاحبة العينــين التى وصفهما كامل الشناوى بــأن بهمــا إشــعاعاً يســحر الناظرين، والشفتين اللتين تماثلين حبات الكريز، والطريــف

أنها لم تفهم معنى قصيدة كامل، لأنها كانت تجيد اللغتين العبرية والفرنسية، فى حين أنها لم تكن حتى ذلك الوقت تتقن اللغة العربية، وتطوع الأديب الكبير توفيق الحكيم فشرح لها معنى القصيدة بالفرنسية، ويصف الكتاب والفنان ناصر حسين (روز اليوسف العدد ٣٣٥٧) رد فعل كاميليا عندما سمعت القصيدة باللغة التى تفهمها: "أنها نظرت نظرة سريعة إلى كامل الشناوى ثم ضحكت ضحكة هستيرية وتوقفت بعدها عن الكلام والضحك"!

ورغم هذه الأنوثة الطاغية، إلا أن "الدونجوان" قد ملها وراح يبحث عن حب جديد، فتعلق بممثلة شهيرة عرفت بلقب "سمراء الشاشة"، وبسبب هذه العلاقة الجديدة لم يف الدونجوان بتعاقده مع كاميليا، فلم ينتج لها أية أفلام، وكادت أن تتبخر أحلام كاميليا فى حياة البذخ والترف والنجومية، لم تكن حزينة على ضياع فرصة الثراء والشهرة باعتبارها كانت تحب المال وهى صفة يهودية متأصلة.. كانت تعلم أن أحمد سالم سيتركها إن آجلاً أو عاجلاً، فهو الذى قال لها يوماً: إن النساء تحبه لأنه يحتقرهن(!)

ومن جانبها قررت كاميليا أن تعامل الدونجوان بالمثل، وقررت أن تبحث عن رجل آخر يحقق لها أحلامها بعيداً عن أحمد سالم، وتعرفت بالفعل على صاحب مصنع للنسيج فى شبرا الخيمة، الذى ذهب بها إلى "الكلوب المصرى" وهو مكان كان يرتاده كبار القوم من رجال المال والسياسة، وهو بالتحديد المكان الذى كانت تحلم به كاميليا لفترة طويلة من عمرها، وبدأت كاميليا تلفت إليها الأنظار عن عمد فى الكلوب المصرى، بملابسها الفاخرة الملفتة للأنظار التى اشتراها لها تاجر النسيج، كما لفتت الأنظار برقصها المثير، فتنبه إليها "بوللى" أشهر صائد للنساء، ليس لنفسه، وإنما لمليكه فاروق الأول ملك مصر فى ذلك الزمان.. ولكن "بوللى" بخبرته ودرايته بنفسية الملك فاروق، كان يعرف أن ملكه لا يحب النساء المغرورات، بل إنه يفضل المشهورات منهن من نجمات الفن أو من زوجات الكبراء... عقدة يعنى!

فوضعها بوللى فى قائمة الانتظار..

وفى هذه الأثناء تفتق ذهن أحمد سالم لأن يستثمر كاميليا، وأن يستعيد جزءاً مما أنفقه عليها، فقرر أن يمنحها

ليوسف بك وهبى – المنتج والممثل الكبير – لتكون بطلة لأفلامه، وكانت لدى يوسف وهبى بالفعل رغبة فى أن يستثمر الضجة الإعلامية التى صاحبت اكتشاف كاميليا، وتمت الصفقة بين أحمد سالم ويوسف وهبى مقابل ثلاثة آلاف من جنيهات ذلك الزمان – وهو مبلغ ضخم وقتها – وكان ما حدث صدمة – إن لم تكن لطمة – تلقتها كاميليا، بعد أن أيقنت أنها شخص غير مرغوب فيه من جانب قاهر النساء، فقررت الانتحار، والانتحار مغامرة ويأس وإعلان فشل من جانب من يقدم عليه، ولكن كاميليا كانت جادة فى عزمها على الانتحار، فاتصلت بأحمد سالم وطلبت مقابلته لإنهاء عقد احتكاره لها، وبعد أن أغلقت سماعة الهاتف ارتدت ثوباً منزلياً يكشف عن أ،وثتها – ربما ليتحسر عليها الدونجوان – واستلقت على أريحة فى حجرة الاستقبال، بعد أن ابتلعت كمية قاتلة من عقار منوم، وجاء أحمد سالم، وفتح باب شقتها بمفتاح يحتفظ به فى جيبه، فقد كانت الشقة التى تسكنها فى الدور التاسع من عمارة الإيموبيليا بشارع شريف بوسط القاهرة، هى الشقة التى استأجرها خصيصاً لها لتكون قريبة من منزله على بعد أمتار...

لاحظ أ؛مد سالم أن هناك شيئاً غير طبيعي فى نـــوم كاميليا، واكتشف أن نبضها ضعيف، فاتصل على الفور بأحد الأطباء، وتم إسعافها، وبعد أن عاد إليها وعيها قـــال لهـــا: "أحبك بدون أقراص منومة".

واتصل بعدها بيوسف وهبى وأعطاه ما دفعـــه مـــن مال ليستعيد كاميليا ولكن كاميليا كانت قد عزمت على شـــئ أسرته؟!

* * *

كانت كاميليا قد قررت أن تعيش حياتهـــا بـــالطول والعرض أكثر وأكثر، وألا تمنعها علاقتها بالدونجوان من أن تقيم علاقات أخرى تحقق لها مكاسب أكبر، فترددت بشـــكل منتظم على الكلوب المصرى، ومنه تعرفت على رجل أردنى ثرى يمتلك طائرة خاصة، وأمام إغراءاتها قرر الرجـــل أن ينتج لها فيلماً يقدمها بشكل جذاب ووعدها بأ، ينفـــق علـــى الدعاية لها ببذخ، ويقال أن العرض كان يقـــف مـــن خلفـــه "بوللى" سكرتير فاروق من أجل أن تتحقق نجومية كاميليـــا، وبالتالى يستطيع أ، يقدمها كهدية يسيل لها لعاب الملك.

والطريف أن هذا الرجل الثرى عندما خــرج عــن حدود الدور المرسوم، وبدأ يلقى على ما مع كاميليا كلمــات الحب ويطلب مقابل خدماته، ألقى القبض عليه بتهمة الاتجاه فى المخدرات، وكتب البعض أن الرجل كان يتاجر بالفعــل فى المخدرات وأنه كان مسكوت عنه مقابل خدمــة "تلميــع" كاميليا، وأنه عندما تجاوز حدوده، تم التعامل معه بالقــانون الذى كان نائماً!

وتعرفت كاميليا بسرعة على رجــل آخــر، حــاول إرضاءها وتلبية مطالبها الكثيرة، وإنتاج فيلم لهــا، فــاختلس مبلغاً كبيراً من المال، وانكشف أمره، فــدخل الســجن هــو الآخر!

علقت كاميليا على ذلك بأنها لم تطلــب مــن أحــد الاختلاس من أجلها!! وتعددت صداقات كاميليا بين مخرجين ومنتجين ورجال مال، وراحت تتنقل بينهم، بــدون مشــاعر حقيقية، بل كل ما فى الأمر أنها كانت تســعى وراء المــال والشهرة والمغامرة!

ومرض أحمد سالم بعد أن رأى التمثال الذى صنعه يتمرد عليه... ولم تأبه "المغامرة" بذلك، بل راحــت تنفــق

المال الذى جمعته على القمار، فأدمنت لعب الورق والمراهنة على سباق الخيل، وتعودت على السهر، وعشقت السفر.

* * *

أما عن علاقة كاميليا بالملك فاروق فإننا نترك الكاتب مصطفى أمين يحكى عنها كما جاءت فى صفحات كتابه "ليالى فاروق" الصادر عام ١٩٥٤...

يقول مصطفى أمين عن قصة اللقاء الأول بين فاروق وكاميليا: "ذات ليلة ذهب أحمد سالم إلى الأوبرج بشارع الأهرام ومعه كاميليا، ورأى أحمد سالم الملك فاروق جالساً إلى مائدة فى الصف الأول ولاحظ أن مائدته فى الصف الأخير وتضايق أحمد سالم وحاول أن يجد مائدة بالقرب من فاروق، فوجد كل الموائد محجوزة.. وكان أحمد يعتقد أن فاروق يغار منه وقد روى مرة أن فاروق رآه يقود سيارة "ألفا روميو" فوجد فاروق يعدو بسيارته فى طريق الملكة نازلى ليعرف من هو راكب السيارة، فأسرع أحمد سالم بسيارته ليغيظ فاروق وأسرع فاروق وراءه إلى أن سبقه وكان أحمد سالم مريضاً كفاروق بحب الاستعراض

فأراد أن يغيظ فاروق بأن يجعله يراه مع الكوكب الجديد كاميليا، وكان أحمد يكره الرقص ولكنه انتهز فرصة عزف الموسيقى لرقص الفالس فسحب كاميليا من يديها وقال لها: تعالى نغيظ فاروق!

وراح أحمد سالم يلف كاميليا أمام فاروق وتعمد أن يضم كاميليا إليه بشدة وهو يرقص وينحنى عليها ويدور بها ويداعبها ويلاعبها، وكأنه يخرج لسانه للملك فاروق! وانتهى الرقص وعاد أحمد سالم وكاميليا إلى المائدة. وقال أحمد سالم: لن ينام فاروق الليلة، هذه أول مرة يرى فيها فاروق امرأة جميلة ولا يستطيع أن يأخذها!

هذه هى رواية الكاتب مصطفى أمين ولكن الكاتب ثروت فهمى له رواية أخرى (مجلة آخر ساعة) فهو يؤكد على أن اللقاء الأول بين فاروق وكاميليا كان فى قبرص وليس فى الأوبرج، فقد كانت فى رحلة إلى قبرص وتقيم فى فندق "مخوزست بارك" وذات يوم كانت مع صديقين قبرصيين وحدث هرج ومرج داخل أروقة الفندق وعندما سألت عن السبب قيل لها أن ملك مصر سيحضر إلى الفندق لقضاء بعض الوقت وجرت بقية الوقائع على النحو التالى:

"منذ اللحظة الأولى التى وقع فيها نظر فاروق على كاميليا أصبحت محط نظره، وفوجئت كاميليا بصديقتها زوجة أحد المليونيرات تجئ إليها وتطلب منها أن تلحق بها فى الصالون بعد الشاى، عندما لاحظت دهشة كاميليا قالت لها: إن مولانا والحاشية سألوا عنها، وتقدمت كاميليا لمصافحة الملك، فقام فاروق لمصافحتها وسألها: اسمك إيه يا مدموازيل؟ فقالت: كاميليا.. قال: أهلاً وسهلاً.. أنا سمعت فعلاً عن ممثلة جديدة اسمها كاميليا.. وسألها مع مين بتمثلى؟ قالت: مع أحمد سالم.. قال: وبتعملى إيه فى قبرص، قالت.. الحقيقة عاوزة أهرب من أحمد سالم لأنه راجل شرانى وأنا موش متعودة على الشر وأدعو الله أن يرسل لى من ينجينى من شره، فقال الملك، ارجعى مصر وأحمد سالم موش حيكلمك كلمة واحدة! وطبعاً طلبها الملك للسهر إلى جواره على منضدة القمار، ولبت هى النداء.

وتمضى الأيام وتعود كاميليا إلى مصر، كما يعود الملك، وتتلقى مكالمة تليفونية من شخص يدعى أنه من شركة إنتاج سينمائى ويحدد معها موعدا فى اليوم التالى، ويرسل لها سيارة وفى داخل السيارة تكتشف أنها تجلس إلى

جوار "بوللى" سكرتير الملك للأشياء الخاصة جداً، وتـــذهب معه فرحة بأن الملك مازال يتذكرها وتعود من قصر عابدين وهى مصابة بالزكام!

ويؤكد الفنان رشدى أباظة فى مذكراته على أن الملك كان يحب كاميليا بجنون، ولذلك سيطرت عليه سيطرة كاملة، بل إنها تعمدت أن تقيم مع آخرين علاقات عاطفية لتلهب بها عواطف الملك، وانتشرت حكايات بين مجتمع الصالونات بأن كاميليا قد حملت من الملك فاروق وأنه يعتـــزم الاعتـــراف بالوليد فى حالة كونه ولداً حتى يرث العرش، ولكن كاميليـــا خيبت أماله عندما سقطت من فوق الحصان لتجهض وهـــى فى الشهر السادس من الحمل.

* * *

هل كانت كاميليا حقا عميلة للمخابرات الإســـرائيلية "الموساد"؟!

– الحقيقة أن الرأى حول تلك النقطة قد انقسم ما بين مؤيد ومعارض، بالفريق الذى اتهم كاميليا بالجاسوسية قال: إنها عضو نشط فى شبكة التجســـس علـــى الملـــك وعلـــى الأوضاع السياسية فى مصر فى فترة مهمـــة مـــن فتـــرات

الصراع العربى الإسرائيلى، مستنداً إلى علاقة كاميليا الخاصة جداً بالملك فاروق الذى كان يدللها ويناديها باسم "كامى"! فقد كانت كاميليا تكبر فاروق بشهر و٢٨ يوماً، فهى على الأرجح – من مواليد ١٣ ديسمبر عام ١٩١٩ وليس ١٩٢٩ كما يقول البعض، لأنها ماتت محترقة فى حادث طائرة يوم الخميس وتحديداً فى الساعة الأخيرة من ذلك اليوم الموافق ٣١ من أغسطس عام ١٩٥٠ وليس معقولاً أن تكون توفيت عن ٢١ عاماً فقط رغم كل ما عاشته من أحداث.

وتغلغلت كاميليا داخل عقل ومشاعر الملك حتى أنها عرفت قرار طلاقه من الملكة فريدة قبل إعلان الخبر رسمياً، وعلى هذا فقد توافرت لها الظروف التى تجعلها على دراية بأدق الأحداث والتفاصيل داخل القصر أكثر من أى شخص آخر، كما أنها اقتربت واخترقت دائرة مجتمع رجال السياسة والمال، معتمدة على أنوثتها الطاغية وموهبتها فى استقطاب الرجال!

فها هو حنفى المحلاوى فى كتابه "فنانات فى الشارع السياسى" يؤكد على أن كاميليا كانت عميلة من الدرجة الممتازة وأنها كانت مرتبطة بالموساد فى الفترة من عام

١٩٤٨ وحتى وفاتها عام ١٩٥٠، أما أستاذ التاريخ دكتـــور محمود متولى فيقول: إن كاميليـــا كانـــت مـــزودة بـــبعض التعليمات من الوكالة اليهودية، فى تل أبيـــب، وكـــان فـــى استطاعتها السفر فى أى وقت تحت ستار عملها بالتمثيل، كما أنه يحدد "قبرص" كمكان لالتقائهـــا مـــع عمـــلاء الوكالـــة اليهودية، كما أنه لا يستبعد أن تكون أخبار ســـير العمليـــات القتالية فى فلسطين التى كانت تحت بصر فاروق تصل إلـــى كاميليا أثناء علاقتها به التى امتدت من عام ١٩٤٦ وحتـــى نهاية عام ١٩٤٩ بل إن أكثر من ذلك يرى الدكتور محمـــد متولى أن كاميليا كانت أيضاً عضوا فى شبكة الإساءة إلـــى مصر حيث كانت تقوم بتصوير الأحياء الشعبية الفقيرة بشكل غير لائق.

هذا عن المؤيدين جاسوسية كاميليا، أما المعارضـــين فهم يعتقدون بأن الملك فاروق هو الذى أشاع هـــذه التهمـــة عنها عندما مل الحياة معها وأراد أن يتخلص منها(؟!).

وأكثر من هذا أن أصحاب هذا الاتجـــاه يـــرون أن فاروقا هو الذى دبر لها حادث الطائرة عندما اكتشـــف أنهـــا تخونه مع غيره من الرجال.

وقالوا إن سلاح الطيران الملكى لم يقم بالبحث عـــن الطائرة المفقودة داخل الأراضى المصرية، والتى تم الكشف عنها محترقة عند مدينة الدلنجات بمحافظة البحيرة، ولكـــن كيف وقع الحادث منذ البداية؟ كانت كاميليـــا تشـــعر بـــآلام متكررة فى معدتها وأرادت أن تطمئن على صحتها وتعـــالج هذا المرض، فاتصلت بواحد من أشهر الأطبـــاء الأجانـــب، الذى أعطاها موعداً بعد يومين، واتصلت بشـــركة طيـــران "T.W.A" وطلبت حجز تذكرة فى أقرب وقت ممكن، ولكن موظف الحجز اعتذر لها بأ، العدد مكتمـــل علـــى الرحلـــة القادمة، إلا أنها قابلت اعتذاره برد عنيف، فكيـــف لا تجـــد مكاناً على الطائرة وهى النجمة اللامعة التى عرفت طريقها إلى العالمية عن طريق المنتجين اليهود فى الفيلم الإنجليـــزى "طريق السموم" وأغلقت السماعة وذهبت لتسهر مع مجموعة من الأصدقاء منهم المطرب الراحل فريد الأطرش، فلاحـــظ الجميع عليها الحزن والوجوم، وعندما سألوها عـــن الســـبب أخبرتهم ما حدث لها مع شركة الطيران، ولكن سرعان مـــا دق الهاتف وكان المتحدث هو نفسه موظف شركة الطيـــران الذى قام بمحاولات عديدة حتى عـــرف بمكـــان وجودهـــا،

وأخبرها فى سعادة بأن أحد الركاب قد اعتذر عن عدم السفر على الرحلة (كان هذا الراكب هو الكاتب أنـيس منصـور) وأنه الآن أصبح باستطاعتها السـفر علـى الرحلـة التـى ستتحرك من مطار القاهرة فى مساء اليوم التـالى، وهللـت كاميليا من الفرحة وذهبت إلى منزلها لتستعد للسفر بعـد أن قامت بتوديع أصدقائها، ومن الأفضل الآن أن نقرأ هذا الخبر الذى كتب قلم الكاتب محمد حسنين هيكل فى أخبار اليوم فى العدد الصادر يوم ١٩٥٠/٩/٢، كتب يقـول: بـدأت قصـة الرحيل فى الساعة الثانية عشر والنصف صباح يوم الخميس ١٩٥٠/٨/٣١ بهبوط طائرة T.W.A التابعة لشركة الخطوط الجوية العالمية وقد ركبت كاميليا مع ستة ركاب من مطـار القاهرة وأقلعت من المطار وكان آخر اتصال لها عن طريق اللاسلكى فى الساعة الواحدة والنصف صـباحاً، وانقطعـت الأخبار بعد ذلك، وسقطت الطائرة وسط الحقـول وتفحمـت الجثث، وقد قرر الطبيب الشرعى الذى عاين جثة كاميليا أن سبب الوفاة كان الجروح النارية وما صاحبها مـن صـدمة عصبية وكسور فى عظام الساقين..

أما أغرب ما فى الحادث أنهم لم يجدوا شيئاً من متعلقاتها سوى خاتم سوليتير قيل أنه مهدى لها من شخصية حاكمة – على الأرجح هو الملك فاروق نفسه الذى اتهموه بتدبير الحادث – والشئ الثانى هو "فردة حذاء" من الستان الأخضر بلون الفستان الذى كانت ترتديه..!

من دبر الحادث؟

من قتل كاميليا؟

ما هى انتماءاتها؟

هل حقاً كانت على صلة بالوكالة اليهودية؟

أم كانت مسيحية متدينة كما يزعم البعض؟

هل كانت عميلة للموساد؟

هل أحبت مصر التى شربت من نيلها وأعطتها الشهرة؟

ماذا كانت تريد بالضبط؟

أسئلة عديدة ماتت إجاباتها عند لحظة احتراقها مع حطام الطائرة..

٤

برلنتى عبد الحميد

و

الزواج من المشير

"وبعد ساعة دق جرس الباب ودخل رجلان، ودارا فى أنحاء الشقة يتفحصانها، يدرسان: مداخلها ومخارجها، بينما جلست هى و"الكاتبة" فى انتظار الشخصية المجهولة المثيرة، والسيدة برلنتى فاتها أن تصف شعورها فى هذه اللحظات..."

ولدت بحى باب الشعرية المزدحم فى بيت كان يعيش فيه الأب والأم إلى جوار الجد، إلى أن انتقلت الأسرة – وهى فى الرابعة من عمرها – إلى حى شعبى آخر لا يقل ازدحاماً هو حى السيدة زينب رضى الله عنها، وبعيداً عن منزل الجد الذى كان والدها ابنه الوحيد.

ووسط الأماكن المزدحمة كثيراً ما يبحث أصحاب الطموح عن التميز وإثبات الذات.

وكان جدها هو أحد كبار المتصوفة اسمه الشيخ محمد حسن على حواس، وكان من مشايخ الطرق الخليلية، وحسب ما تذكر السيدة "نفيسة" التى اشتهرت فى الفن والمجتمع باسم "برلنتى" فإن جدها له مقام فى جامع سيدى "الطشطوشى" فى حى باب الشعرية.

والطريف: إنها تقول أنها فهمت من جدها "أن الرجل المسلم هو "الجنتلمان" الحقيقى بالمعنى السائد فى هذا العصر، والطريف هنا هو لفظ "الجنتلمان" وهو لفظ شديد الحداثة و"الفرنجة" إن صح التعبير!

وفى حى السيدة عرفت "عقولا شامخة، وأناسا ذوى عقول منحطة، وعرفت الجوع والشبع، والفقر والغنى، وعرفت التحدى والتسليم"..

والحقيقة أن تعبيرات السيدة برلنتى تعبر عن أحاسيس وتجارب اختارت لها الألفاظ الدقيقة والصريحة، التى تعبر عن حالة الزحام التى تكون عليها الأحياء الشعبية، فالاختلاط هو السمة الواضحة فى هذه المجتمعات اختلاط القيم الأصيلة التى تمثل وضوح المنازل من الأعماق أمام المارة فى شمس النهار، ببعض الفساد الذى تشهده الحارة فى ظلمات الأزقة والطرقات.

فى هذا الحى تعرفت السيدة برنتى على طبيب شاب كان يسكن فى البيت المقابل لمسكن أسرتها، كان فتياً وسيماً، رأته ذات يوم محمولاً على الأعناق بسبب إدمانه المفاجئ للخمور! وكان هذا سبباً كافياً فيما تذكر لابتعادها عن الخمر طوال حياتها.

وفى أول كشف من جانبها عن تطلعاتها المشروعة، كان فى إطار بحثها عن مدرس يساعدها فى فهم الدروس المدرسية، وتطوع ابن خالتها فرشح لها موظفاً فى مصلحة

البريد حاصل على ماجستير فى العلوم السياسية والمالية، وقال لها: إن عمه هو "محمد حسنين هيكل باشا" ورغم ما سبق وأعلنته من كرهها للخمر فإنها علقت على ذلك الترشيح قائلة: "أسكرتنى هذه الصفة فيه.." وتضيف بعد ذلك قائلة:

"كان عالم الباشوات بالنسبة لى عالماً أسطورياً، وأن يدخل رجل من هذا العالم إلى بيتنا أمر يهز الوجدان".

وربما تكون العبارة لها دلالتها فى فهم ميل السيدة برلنتى المبكر إلى عالم السلطة والنفوذ بما تمثله "الباشوية" المسكرة إلى هذا الحد.

ثم تحكى هى بعد ذلك عن مدى اهتمامها بهندامها، وزينتها، وبنظافة حجرة الجلوس ومدخل الشقة انتظاراً للمدرس قريب الباشا!

ولكن الغريب – رغم كل هذا الاستعداد السابق – تقول: إنها استقبلته بثياب ممزقة بالية، وأنها صافحته وهى فى حالة يرثى لها، وأنها تقدمت وهى حافية القدمين، مبللة الوجه بالعرق (تماماً كما يحدث فى بعض الأفلام العربية، ولكنها لم تجده كما تخيلته فارع الطول، بالغ الأناقة والوسامة، بل إنه كان رجلاً فى ثياب عادية، قصير القامة،

ضامر الجسم كان هذا الشاب "مصطفى هيكل" كما اكتشفت هى بعد ذلك أنه واسع الإطلاع، عظيم الثقافة، باختصار لقد حرك هذا الشاب عقلها وقلبها وبدأت ترد على ذهنها أسئلة دينية فلسفية، جاء فى مقدمتها سؤال "من هو الله" سبحانه وتعالى.

وهو السؤال الذى لم تلقه على مصطفى هيكل، بل انتهزت فرصة وجود جدها فى زيارة لهم، ثم وهى تدعك قدميه نظير قرش لكل قدم، سألته، فقال لها بكل خشوع الحديث القدسى: "كنت كنزاً مخفياً فأردت أن أعرف فخلقت الخلق فيه عرفونى".

واستمرت العلاقة بين السيدة برلنتى وبين مصطفى هيكل الذى بدأ يمدها بالكتب لتقرأها ثم يتناقشان فيها فى لقاءاتهما المتعددة فى حديقة الأزبكية، ورغم أن المكان رومانسى إلا أن المقابلات كانت ثقافية.

وتذكر أنها قرأت بعض أعمال كارل ماركس (ومنها كتابه الشهير رأس المال) وانجلز، وأكثر الكتب التى أثارت اهتمامها كتاب "الأم" لمكسيم جوركى.

والحقيقة أن السيدة برلنتى تقفز من هذه الذكرى إلى واقعة تذكرها فى شجاعة نادرة، عندما سألها المشير عامر – بعد زواجهما فيما بعد – وهى تتحدث عن هذه الكتب متباهية بقراءتها:

– "هل قرأت القرآن؟".

– فتقول واصفة تلقيها للسؤال: ولا أدرى لماذا انتابنى الخجل وأنا أرد عليه بالنفى" فألقى سؤالا آخر: لعلك أيضاً لم تقرئى شيئاً عن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه).

فأجابت بما يفيد النفى.. وحاول مصطفى هيكل إشراكها فى عملية توزيع المنشورات، إلا أن ارتباكها حال دون استمرارها فى العمل السرى، فأشار عليها بدخول المعهد العالى للفنون المسرحية قسم "نقد" وهناك رآها المرحوم زكى طليمات الذى حول اتجاهها إلى قسم التمثيل و(بالصدفة) غابت البطلة التى ستقوم بدور البطولة أمام عبد الغنى قمر (الطالب وقتها) فى امتحانات السنة النهائية واختار زكى طليمات السيدة برلنتى لتقوم بالدور إنقاذاً للموقف، و(للصدفة) كان المشهد الأول فى ديكور غرفة نوم وبملابس إغراء – إلى حد ما – فهاج الطلاب – الشباب – علت

أصواتهم بالصفير وشاعت بعض الفوضى وأغلـق الستار، ليهدد زكى طليمات (عميد المعهد وقتها) بإلغاء العـرض إن عادوا إلى الصياح. وفتح الستار مرة أخرى بعد أن أصبحت أعصاب السيدة برلنتى "أهدأ" مما ساعدها على الاندماج على حد تعبيرها.

وهى تقول فى مذكراتها "وزاد من سرورى أن الأستاذ زكى هنأنى وامتدح تمثيلى، وأحسست بالزهو فإنها أول مرة أحظى فيها بالتقدير الجماهيرى، وهذه نشوة لا يعرفها سوى من ذاق حلاوتها..."

وبدأ نجمها فى الصعود بسرعة الصاروخ، لدرجة أنها حصلت على بطولات سينمائية وهى لازالت طالبة بالمعهد. وبعد الشهرة أصبح لها أصدقاء متميزين من الصحفيين والمثقفين والكتاب، فكانت تعقد لهم صالوناً إسبوعياً – كل خميس – فى بيتها، وكان من بين المترددين على هذه الندوات أحمد بهاء الدين، أنيس منصور، الصحفية الراحلة نجاح عمر، وزوجها الكاتب الصحفى محمود المراغى، الكاتب والفنان عدلى فهيم، الرسام حجازى

والصحفية مهجة عثمان وكثيرون ممن تفخر الحياة الثقافيـــة بهم (ص٢٦ من كتاب المشير وأنا).

واتسعت دائرة معارفها شتلم الأجانب مـــن الفنـــانين والفنيين، وتلبية دعوات سفارات إلى أن حـــدثت لهـــا هـــذه الواقعة:

كانت مدعوة إلى حفل إقامة سفير الهند فـــى منزلـــه بالزمالك تكريماً لقنصل أمريكا فى القاهرة، ولضيق الوقـــت فقد ذهبت إلى الحفل بماكياج دورهـــا فـــى أحـــد الأفـــلام، وصادف ذلك ترحيباً من الأجانب حتى أنهم هللوا لها:

"هالو.. برلنتى عبد النيل"!

وبينما الكل يتزاحم من حولها، إذا برجل يقترب منها هامساً: أنا فلان الفلانى (مخابرات)!

ولأنها لم ترد لنفسها أن تكون فى موضع شبهة مـــن هذه الطريقة الهامسة، وخاصة أن بعض الأجانب الحاضرين يلمون باللغة العربية، فما كان منها إلا أن صـــاحت باللغـــة الإنجليزية: وما شأنى أنا بالمخابرات.. إننى فلانة ولا دخـــل لى بالسياسة"!

وانتهت الحفلة، وبعد عودتها إلى البيت مباشرة، تلقت مكالمة هاتفية من صوت رجل رقيق مهذب – على حد وصفها – يقول أنا "صلاح بدر مدير المخابرات الحربية، وطلب منها بعد أن وصفها بالوطنية، أن تكتب "تقارير" عن أى شئ تسمعه أثناء وجودها مع رجال السلك الدبلوماسى.

إلا أنها رفضت، فاستئذنها فى أن يعاود الاتصال بها مرة أخرى، فرحبت بذلك. وهنا تقرر السيدة برلنتى إنها كانت المرة الأولى التى تتعرف فيها على رجل مخابرات، وإنها اندهشت لكون رجل المخابرات الذى تعرفت عليه فى تلك الليلة "رجل رقيق خجول"، وكان الرجل هو (صلاح بدر) مدير المخابرات الحربية!

ولكن يبدو أن شخصية السيدة برلنتى عبد الحميد، التى أطلق عليها الأجانب لقب "برلنتى عبد النيل" – كما تقول – كانت شخصية رأت فيها المخابرات نموذجاً من طراز ممتاز للاستفادة من علاقاتها الواسعة لا سيما بالأجانب.

فها هى تتلقى عرضاً آخر بعد أيام من المكالمة السابقة، تطلب منها محدثتها التى تصفها "بالكاتبة الدينية المعروفة" أن تستقبل شخصاً يريد زيارتها.

- وعندما سألتها: ومن هو؟

- قالت إنه شخصية مهمة، أحد المسئولين، فما رأيك؟

- ولماذا يريد أن يزورنى؟

- لا أعرف، هو بنفسه سوف يخبرك إذا وافقت على الزيارة.

- قلت فى النهاية: "لا مانع فليتفضل" ثم عادت الكاتبة تسأل: هل لديك مانع أن آتى معه.

- أبداً أهلاً وسهلاً (ص٢٩ من نفس المصدر).

وبعد ساعة دق جرس الباب، ودخل رجلان ودارا فى أنحاء الشقة يتفحصانها، يدرسان مداخلها ومخارجها، بينما جلست هى و"الكاتبة" فى انتظار الشخصية المجهولة المثيرة، والسيدة برلنتى فاتها أن تصف شعورها فى هذه اللحظات، هل هو الرعب أم الانتظار والترقب، أم بعض الاستمتاع بهذا الجو المثير الذى يشبه المشاهد المتقنة فى فيلم من أفلام الجاسوسية التى لم تكن قد عرفتها السينما المصرية هذا الوقت؟

ولم يمض وقت طويل حتى دق جرس الباب مرة أخرى، وظهر رجل ممتلئ قليلاً مبتسم الوجه، وبعد الترحيب به أعدت له السيدة برلنتى الشاى بنفسها بعد انصراف الشغالة وبدأ الرجل فى الدخول إلى الموضوع مباشرة، ومن الأفضل أن نقرأه بنفس ألفاظ وعبارات السيدة برلنتى:

- نحن نعرف يا مدام برلنتى أنك نجمة محبوبة، وأن كثيراً من الأجانب المهمين المقيمين فى مصر يحبونك ويصادقونك ويهمنا حقاً أن تتعاونى معنا.

- سألته: ومين حضرتك..؟

- بدت الدهشة على وجهه، ثم تساءل بأدب: ألا تعرفين صلاح نصر؟

- لا.. لا أعرفه.. يعنى بتشتغل إيه حضرتك؟

ضحك الرجل وهو يتفرس فى وجهى غير مصدق ثم قال: صلاح نصر مدير المخابرات.

- ولكن مدير المخابرات اسمه صلاح بدر!!

- قال: صلاح بدر مدير المخابرات الحربية.. لكن أنا مدير المخابرات العامة ثم أوضح لها أن عمل المخابرات العامة ينحصر فى نطاق الأجانب، ومكافحة شبكات

الجاسوسية التى تستهدف الإضرار بمصلحة الوطن، ثم كرر نفس طلب "صلاح بدر" وهو كتابة "تقارير" عن كل ما تسمعه أو تستشعره من الأجانب وكيف يفكرون، ثم أضاف إن ذلك لن يستغرق منها أكثر من دقائق!

وألقى صلاح نصر بمهارة بأول إغراء أمامها، عندما دار نظره فى أرجاء الشقة الصغيرة قائلا: هذه الشقة صغيرة – ولا تناسبك.. سوف نعطيك شقة كبيرة ونؤثثها لك بشكل فاخر!

وعندما أبدت رفضها، ألقى بالطعم الثانى:

– ستكونين فى أمان تحت رعايتنا، وإذا حدث وتهددك أى خطر فنحن سنقوم بحمايتك منه، فإنك لن تدركى إن كان هناك خطر أم لا.

وهذا هو ما تستطيع أن تقدمه السلطة، إنها تعد بالحماية، وحتى لو لم تعد بذلك فإن الذين يتطلعون إلى علاقات خاصة مع السلطة، يدركون أن تلك بالنسبة لهم من أكبر المغريات، إنها "حصانة" من نوع خاص، تفوق تلك الحصانة الممنوحة لبعض أعضاء الهيئات البرلمانية والدبلوماسية، فهى حصانة مستترة إن صح التعبير، حصانة

غير مرئية تتيح للمتمتع بها نفوذاً يفـوق قدراتـه، ويفـوق وضعه ومكانته الطبيعية، وهذه فى رأينا هى نقطة الضـعف الأول التى ينفذ منها القائمون علـى (تجنيـد) مثـل هـذه العناصر.

وتؤكد السيدة برلنتى عبد الحميد على أنها رفضـت العرض من أساسه – بدعوى أنها تخدم وطنها عن طريـق الفن، وأنها لا تعرف السياسة.

فى حين قرر صلاح نصر أن المسألة ترجـع إلـى اختيارها، وأنه شرح المميزات وعليها هى أن تختـار، ثـم طلب السماح له بالاتصال بها من وقت لآخر حسـبما روت هى.

ولكن ما رأيكم أن نسمع الرواية بشكل آخر وبنهايـة أخرى من المهندس حلمى السعيد الذى كان على رأس فريق التحقيق فى القضية التى اشتهرت باسم "قضية انحراف جهاز المخابرات العامة"، الذى يؤكد فى مذكراته على أن السـيدة "نون" وشهرتها الفنية "باء" وللقارئ الذكى وحده حق اكتشاف إذا كان هناك تشابه بيننون والسيدة برلنتى التى كانت علـى علاقة بأحد قيادات الجهاز، وكان لها أصدقاء أجانب، وأنهـا

قد وقّعت إقراراً عام ١٩٦٠ لتكون مندوبة للمخابرات.. وأن جميع زملائها فى الوسط الفنى يعلمون علاقتها بالمخـــابرات وبقياداته.

والحقيقة أن المرء يتحيــر أى الروايـــات يصـــدق، فصحيح أن التاريخ لا يكتب مرة واحدة، ولا من خلال وجهة نظر واحدة، إلا أن هذا التضارب فى الروايات يباعد بيننـــا وبين الحقيقة ولو مؤقتاً!

هذا إذا كان هناك ربطاً بين السيدة نـــون والســـيدة برلنتى(!)

الشق الثانى فى حياة السيدة برلنتـــى بالســـلطة هـــو علاقتها بالمشير الراحل عبد الحكيم عامر، الرجل الثانى بعد عبد الناصر فى هذه الفترة، ورغم أن حلمى السعيد يشير إلى أن المخابرات العامة هى التى قدمتها إلى المشير (هـــو لـــم يذكره بالاسم) فى عام ١٩٦٢ فى إحدى الفيللات الآمنة، فى حجرة معتمة ولما قامت هذه الشخصية (المشـــير) بإشـــعال سيجارة عرفته السيدة (نون) الشهيرة بـــ(باء)، إلا أنها تذكر الواقعة بشكل مختلف، فقد سبق هـــذا اللقـــاء، لقـــاء آخـــر لمجموعة كانت وظيفتها تعريف "اللى فوق بمتاعب وأوجاع

اللى تحت" ولا ندرى هل هذا هو دور "مخـــابراتى" مـــثلاً؟ ورغم ذلك فإن السيدة برلنتى تقول: إنها وافقت على الذهاب لذلك الاجتماع الذى دعتها إليه صديقة صحفية تعمـــل فـــى مجلة روز اليوسف وقتها، ولسبب أو لآخر اهتمـــت الســـيدة برلنتى بزينتها واختارت اللون الأبيض لملابسها، وحذاء ذات كعب منخفض وتسريحة شعر جعلتها تبـــدو كطالبـــة أنيقـــة ورشيقة!

وفى الاجتماع الذى تم فى أحد الفيللات فى الهـــرم، التقت لأول مرة بالمشير عبد الحكـــيم عـــامر الـــذى رأس الاجتماع لمعرفة أحوال الرعية من خلال هـــذه المجموعـــة المنتقاة التى تجمع بين أبناء مهن ووظائف مختلفة.

وبعدها اتصل بها صلاح نصر مرة أخرى وذهـــب بها لمقابلة "شخصيات مهمة"، وعندما أصرت على معرفـــة هذه الشخصية قبل ذهابها، أخبرها بأنه المشير عامر، بشرط أن تتظاهر أمامه بعدم معرفتها به، وهناك فى المكان المظلم أخرجت هى سيجارة، وبعفوية أخرج المشير ولاعته فأشعلها لها، فقالت له: إنه يشبه المشير عامر، فضحك ولم ينكر.

وتحدثت بعد ذلك السيدة برلنتى عن (اختبارات) عديدة وقالت: إن (أجهزة الأمن) قامت بها تجاهها بمباركة المشير، وتمثلت هذه الاختبارات فى عروض زواج وعروض تمثيل ومعاكسات بالذهب والمال، وفى النهاية قال لها المشير إنها نجحت فى الامتحان وإنها الآن أصبحت (عروسته) بعدما تأكد من أنه سيضع رقبته ومعها أسرار الدولة مع امرأة لا تُشترى، بل إن صلاح نصر قال لها: إن المخابرات تعتبرك نظيفة، تليق بزوجة المشير (ص٥٦). وتم الزواج، زواج الفن بالسلطة الذى يبدو أنه لم يكن زواجاً وردياً بين (الفنانة) برلنتى والنائب الأول لرئيس الجمهورية وقائد جيشها، فقد كانت العيون متربصة، والمشير حريص كل الحرص على أن يكون أمر الزواج فى أعماق بئر الأسرار.. أسرار الدولة، التى أصبحت الزوجة الجديدة شاهدة عيان على بعضها بحكم الوضع الجديد والمكان القريب.

لم تكن حياة وردية، لأنها كانت حياة شبه سرية إلا من بضعة أفراد شهدوا عليها وباركوها، ولكنهم اشتركوا جميعاً فى دفن أسرارها.. إلى حين!

والغريب أن السيدة برلنتى تؤكد على أن قمة السلطة وقتها متمثلة فى الزعيم جمال عبد الناصر كانت على علم بعلاقة الزواج السرى بينها وبين المشير، وإنه قد زارهما فى بيتهما ببرج العرب (الإسكندرية) وأنه لعب الورق مع المشير – فى حضور ومشاركة أنور السادات – وهى تجلس بالقرب من المشير، وهو ما يعنى – إن صحت الواقعة – مباركة عبد الناصر لهذه العلاقة.

وتداخلت دوائر السياسة والسلطة، ربما كان (الطموح) هو مركز إحدى هذه الدوائر، ولكن للأسف فإن النتيجة التى نراها من هذا التداخل، هو احتراق الفنان بفعل لهيب السياسة، فلا هو حقق طموحه فى الشهرة والنجومية، ولا تخلص من السهام الصائبة التى تصوب إليه كلما دار حديثاً فى الفن أو فى السياسة!

٥

ميا دة الحناوى:

غيرة أم تجسس؟!

"وهذه واحدة من القضايا التى شغلت الرأى العام، كانت واحدة من همسات الوسطين الفنى والصحفى لفترة طويلة، حتى خرجت من طى الكتمان المؤقت وأصبحت حديث الناس، بعد أن تجرأت أخيراً الصحف وناقشتها على الملأ وعبر صفحاتها.. إنها قضية المطربة ميادة الحناوى مع الموسيقار محمد عبد الوهاب، وهى من ناحية أخرى لا تخلو من حديث عن الفن و.. المخابرات والسلطة!"

ميادة الحناوى من مواليد حلب عام ١٩٥٨، وكانت بدايتها من خلال المسرح المدرسى، وبدأت قصة تعارفها بالموسيقار محمد عبد الوهاب عندما التقت به فى فندق "بودان"، فاستمع منها مقتطفات، فنصحها بالسفر إلى القاهرة وكان ذلك عام ١٩٧٧، وصحيح أن بدايتها الفنية الحقيقية كانت مع آخرين وأولهم الموسيقار محمد الموجى، الذى استمع إليها فى دمشق بعد قرار ترحيلها المفاجئ من القاهرة، وقال الموجى عن صوتها إنه صوت سليم وطروب، ثم ذهب بليغ حمدى أيضاً إلى دمشق وقدم لها لحناً لأغنية "إيه يا هوى"، وكذلك ورغم مرض الموسيقار الكبير الراحل رياض السنباطى فقد وضع لها لحناً نفذته فى دمشق، وهكذا ورغم أن الخطوة الأولى كانت مع محمد عبد الوهاب، إلا أن الانطلاقة كانت من دمشق، ولكن ما يهمنا هنا هو التوقف أمام حقيقة العلاقة مع محمد عبد الوهاب الذى من الواضح أنه أحد أسباب قرار ترحيلها من مصر، كما أن تلك العلاقة

تلقى الضوء على أشياء كثيرة فى حياة ميادة الحناوى الفنيـــة والشخصية.

عندما وجه الموسيقار عبد الوهاب الدعوة إلى ميادة الحناوى. وهى لا تتجاوز السابعة عشـــرة مـــن عمرهـــا – لزيارة القاهرة، وجدت ميادة التى كانت لها شقيقة أكبر تغنى تدعى فاتن فى هذه الدعوة الفرصة لتحقيق طموحاتهـــا فـــى عالم الفن، فحزمت حقائبها على الفور مصـــطحبة والـــدتها وشقيقها "عثمان" ورحلت إلى القاهرة..

وفى مطار القاهرة كان فى استقبال ميادة وأســـرتها مجدى العمروسى محامى شركة صوت الفن وأحد شركائها، وبعد فترة توقفت السيارة التى تقلها أمام عمارة أنيقة بحـــى الزمالك الواقى، وكانت فى انتظارهما بالشقة خادمة وســـائق خاص بناء على طلب من موسيقار الأجيال.

وأمام الباب – باب الشقة – سلم مجدى العمروســـى مفتاح الشقة إلى ميادة ومعه قصاصة ورق عليها رقم تليفونه وتليفون الأستاذ (عبد الوهاب) قائلاً لها: أنا تحت أمركم فـــى أى وقت تحتاجون إلى معونة...

وفى اللحظة نفسها رن جرس الهاتف، لتستقبل ميادة أول مكالمة من عبد الوهاب، فقالت: أنت تعبت نفسك معايا قوى يا أستاذ!

- العفو يا هانم.. ده أقل واجب أقدر أقدمه لنجمتنا الجديدة.

ميادة: ربنا يخليك ياستاذ..

عبد الوهاب: ميرثى يا فندم.. وإذا عايزين أى شئ أبعث لكم السواق بتاعى.

ميادة: لكن ده كثير يا أستاذ..

الأستاذ: أبداً يا فندم.. انتم معزومين على العشاء الليلة.. وعلى مائدة الأستاذ العامرة اجتمعت الأسرتين، أسرة عبد الوهاب وأسرة ميادة الحناوى، وبعد العشاء الفاخر أعطاها عبد الوهاب الدرس، قائلاً: دلوقتى لازم تروّحى تنامى بدرى علشان تصحى بدرى أيضاً، وكمان لازم تعملى رياضة فى الصباح.. الشئ الثانى أنا مش عايزك تروحى أى مكان إلا إذا ادتينى خبر.. اتفقنا؟

وعند الجملة الأخيرة نتوقف، ونتسائل هل هو اهتمام مبالغ فيه من قبل الأستاذ تجاه نجمته الساعدة؟ أم هى غيـــرة فنية خوفاً من تعاونها مع أحد غيره؟

لكن المؤكد فى كل الأحوال أن هناك رعاية خاصــــة من جانب الأستاذ تجاه ميادة باعتبارها (مشروعه) الجديـــد، وعبد الوهاب عرف عنه الاستثمار الجيد لعلاقاته الفنية، من أجل أن تضيف إليه ولا تأخذ من رصيده إلا إذا كان العائـــد أكبر.

ولذلك أصر عبد الوهاب على توقيع عقــد احتكـــار لمدة خمس سنوات مع اكتشافه الجديد، تكون خلالها "صوت الفن" هى المنتجة الوحيدة لأغانيها.

ورغم أن عبد الوهاب قد طلب من ميادة وأســـرتها عدم الاتصال بالصحفيين أو الـــرد علـــى أســـئلتهم، إلا أن الأخبار بدأت تتسرب إلى الصحف الفنية المعـــروف عنهـــا اهتمامها بأخبار الفن والمجتمع وكان واضحاً من الخبر الأول الذى نشر عن الصوت الجديد ميادة أنه يحمـــل نوعـــاً مـــن "الدعاية" لاكتشاف الأستاذ الجديد، وجاء فى الخبر الذى نشر بمباركه الأستاذ وجاء تحت عنوان "عبد الوهـــاب يكتشـــف

مطربة سورية" "اكتشف الموسيقار الكبير عبد الوهاب صوتاً نسائياً غنائياً نال إعجابه الشديد، وقال بعد أن استمع إلى صاحبته وهى تغنى فى حفلة خاصة أنها مطربة على قدر كبير من الموهبة، وأنها لو احترفت الغناء لكانت من أبرز المطربات العربيات..

وصاحبة الصوت الجميل الشجى اسمها ميادة الحناوى، وهى حلبية الأصل، وشقيقة المطربة السورية المعروفة فاتن الحناوى التى فازت بإحدى جوائز مهرجان الأغنية العربية الذى أقيم فى دمشق خلال الصيف الماضى (عام ١٩٧٦)..

وأضاف الخبر أن العقبة الوحيدة التى تقف فى وجه ظهور ميادة الحناوى هى أنها لا تحب أن تكون مغنية محترفة، وتفضل أن تظل هاوية غناء فقط، وإن كانت السيدة أمها تؤكد بأن ابنتها كانت تقول لها منذ طفولتها بأنها على استعداد لأن تحترف الغناء، إذا لحن لها أغانيها أو بعضها الموسيقار محمد عبد الوهاب...

ووصفها الخبر على النحو التالى "وبقى أن نذكر أن ميادة الحناوى تجمع بين جمال الصوت والأداء، وجمال

الشكل أيضاً، وهو ما لم يتوفر إلا للقليلات من المطربات العربيات.. (الموعد ١٩/١٠/١٩٧٧).

ومن الواضح أن الطريق كان يمهد لبذوغ نجمة جديدة فى عالم الغناء، فماذا حدث بعدها؟

حتى ندرك ماذا حدث بعد ذلك علينا أن نبرز قصة تعارف ميادة الحناوى بمحمد عبد الوهاب، ففى البداية كانت شقيقتها فاتن الحناوى مطربة معروفة فى حلب، ثم فى سوريا كلها بعد انتقالها إلى دمشق وغنائها فى الإذاعة والتليفزيون السوريين، وكان من بين أصدقاء الأسرة السيد "عدنان الدباغ" الذى كان وقتها وزيراً لداخلية سوريا، وهو عاشق للفن، فاستمع إلى ميادة بطبيعة علاقته بالأسرة، فتحمس لها، وكان فى ذات الوقت صديق حميم لمحمد عبد الوهاب، وكان يعلم بالطبع بمكان اصطياف عبد الوهاب فى منطقة "بحمدون" ولكن الحرب الأهلية نشبت فى ذلك الوقت، وارتفع صوت المدافع، وعبد الوهاب بطبعه القلق، الوسواس، لا يطيق صوت المدافع ولا يحب سيرة الحرب، فانتهز السيد عدنان الدباغ الفرصة ودعاه لقضاء بقية أيام المصيف فى "بلودان" المصيف الهادئ الآمن، وعندما لبى عبد الوهاب الدعوة،

وأخبر الدباغ عائلة ميادة هتفت ميادة على الفور: نفسى أقابله مرة! وافقت الأسرة وباركت رغبة ابنتها فى لقاء الأستاذ، وفى مكان إقامة الأستاذ، استمع إليها الأخير وهى تغنى بعض مقاطع لأم كلثوم وعبد الحليم حافظ، وبعض أغنيات سورية من فولكلور طروب، وبعض ألوان من الغناء اللبنانى، كل هذا والموسيقار يبدى إعجاباً حقيقياً يزيد من حرارته ميل الأستاذ إلى المبالغة فى المجاملة.

سأله الدباغ فى نهاية الغناء: إيه رأى الأستاذ؟

- صوت جميل.. محتاج شوية تدريب وزخرفة..

* هل تمنحها شرف التدريب على يديك؟

- لكن.. دى مسألة تأخذ وقت.. مش فى يوم وليلة.

ومن هنا جاءت فكرة سفر ميادة إلى القاهرة واستشافة عبد الوهاب لها.

ورغم التكتم الشديد الذى كان يتعامل به عبد الوهاب مع الصحافة، حتى تكتمل مفاجأته، إلا أن الصالونات الثقافية والفكرية التى كان يعدها عبد الوهاب لصوته الجديد، بهدف الارتقاء بها ثقافياً من ناحية، ومن ناحية أخرى أن يقدمها إلى صفوة المجتمع بهدف تحقيق الإجماع حول صوتها..

ففى صالون عبد الوهاب التقت ميادة بصفوة من أهل السياسة والفكر: مصطفى خليل، سيد مرعى، مصطفى أمين، محمد عبد القادر حاتم، إحسان عبد القدوس وآخرون، وبدأت الأخبار تتسرب عن اللحن الذى يعده عبد الوهاب لميادة وهو "فى يوم وليلة" كلمات الشاعر الغنائى الكبير حسين السيد، بل وأن ميادة تسجل اللحن بالفعل بصوتها بمصاحبة عود الأستاذ، وفجأة...

طارت ميادة إلى دمشق، وكان الخبر المعلن أنها ذهبت لتتابع حالة والدها المريض ولكن....

بدون مقدمات أيضاً بدأ الأستاذ يصرح بأن ميادة "صوت غير ناضج" وأنها ليست فى مستوى لحنه!

وكان هذا يتنافى مع تصريحاته السابقة!

واشتعلت ميادة غضباً، حتى ولو لم يكن التصريح مفاجئاً لها!

وبدأ خبر مثير للتقزز ينتشر فى أوساط بعينها، يتحرك ببطء ولكنه كان ينتشر رويداً، رويداً، انتشار النار فى الهشيم.. الخبر يقول: إن ميادة قد تم ترحيلها بسبب خطرها على الأمن القومى المصرى، ثم راح يظهرفى جرأة أكبر

ليعلن أنها "جاسوسة ضد مصر وأن عملها هو جمع المعلومات السرية من أفواه مصادر معينة سياسية وفنية...

هكذا بمنتهى البساطة، البنت الصغيرة التى لم تكمل عامها السابع عشر عميلة مخابرات!

وتتكشف الأمور أكثر أن القرار صادر من وزير الداخلية المصرى اللواء نبوى إسماعيل وأنه جرى استجواباً لميادة فى مطار القاهرة قبل ترحيلها!

ولم يعرف الناس شيئاً عن حقيقة علاقة ميادة الحناوى بالتخابر، حتى تم تجنيدها، ولا ما هى طبيعة المعلومات التى جاءت من أجلها فى فترة شهدت توتراً شديداً فى العلاقات بين مصر وسوريا، ولا ما هى الأخبار التى تمكنت بالفعل من الحصول عليها أو مصادرها فى القاهرة التى تعاملت معها... وإلى هنا لم تكن أية كلمة تقال عن دور عبد الوهاب فيما حدث!

إلى أن تطورت الشائعات وربطت بين قرار الترحيل وبين غيرة زوجية شعرت بها زوجة عبد الوهاب تجاه النجمة الجديدة، فكانت سبباً فى منعها من الغناء "فى يوم وليلة" أين الحقيقة؟ لا أحد يعرف حتى الآن..

وتمر السنوات، ولأن الحقيقة لا تموت، وعندما تغيب الحقائق فإن الشائعات تولد، فبعد نحو ٢٢ عاماً من قرار الترحيل والشائعات التى تناثرت من حوله ورغم أنه سبق ذلك بتسع سنوات أن دعيت ميادة الحناوى – بدعوة من وزير الإعلام المصرى – لزيارة مصر والغناء فى أكبر مسارحها بمركز القاهرة للمؤتمرات، يعترف اللواء النبوى إسماعيل فى أحد البرامج على شاشة محطة عربية فضائية بأنه كان وراء منع دخول ميادة إلى مصر.. ومزيد من التوضيح للقصة الشائكة التى تصادم فيها الفن مع السياسة (السلطة) قال اللواء النبوى إسماعيل للصحفى اللامع وائل الأبراشى (روز اليوسف ٩٩/٨/٢٧) إن القصة فيها بعد أمنى وبعد إنسانى وبعد فنى والذى حدث أن الموسيقار الراحل محمد عبد الوهاب طلب أن يلتقى به لأمر حساس ومهم، وأنه بمجرد أن دخل مكتبه اكتشف أن عينيه شديدة الاحمرار وقال وهو يوشك على البكاء (بحد وصف وزير الداخلية الأسبق) أن السيدة نهلة القدسى سوف تتركه وتنفصل عنه لو ميادة الحناوى عادت إلى مصر مرة أخرى

وأضاف الأستاذ: أنا حيتخرب بيتى لو ميادة الحناوى دخلت مصر، ولو نهلة سابتنى لن أتحمل وسوف أموت.

ويمضى اللواء النبوى إسماعيل فى روايته قائلا: إنه أخذ يبحث عن "قرار موضوعى" يستند إلى اعتبارات ومبنى على أساس، فكلف ببحث وضع ميادة الحناوى فى الملفات الأمنية، فقالت التقارير أنها صديقة لشخصية سياسية سورية كبيرة وإنها تعمل معه تحت ستار الفن للحصول على المعلومات المتعلقة ببعض الدول العربية وعلى رأسها مصر!

وهنا يقفز السؤال: هل لو لم يبلغ عبد الوهاب بأن "بيته هايتخرب بسبب ميادة كانت ستترك تمارس نشاطها "العدائى" داخل مصر؟

مجرد سؤال..

أكثر من ذلك قال الوزير أنه تم تسجيل مكالمات لميادة مع شخص مصرى تحصل منه على أخبار ومعلومات ووصفت هذه المكالمات بأنها مكالمات "مش طبيعية" تتعلق بأمن وأحوال مصر.. وأضاف: إن هذه أمور نفهمها نحن كرجال أمن".

بعد ذلك يقول الوزير: إنه شعر بالراحة وأن ربنا "لم يكسفنى" وطلب عمل إجراءات منعها من دخول مصر.

ولكن الغريب أن وائل الأبراشى عندما سأل وزير الداخلية التالى للواء النبوى عن أسباب استمرار قرار منع ميادة من دخول مصر فى عهده أيضاً قال اللواء أبو باشا: "طلب الموسيقار الراحل محمد عبد الوهاب مقابلتى عام ١٩٨٢، وطلب منى منع ميادة الحناوى من دخول مصر – استمرار المنع – وقال لى: فيه جوانب فنية وشخصية وأمنية، وأن ميادة على اتصال ببعض الشخصيات التى لم تكن مواقفها واضحة وأضاف أبو باشا: لما يطلب عبد الوهاب حاجة زى كده من الطبيعى أن أقف بجواره وفيه مواءمة أمنية وقومية فى هذه القضية لذلك أنا وافقت على استمرار منع دخولها".

ولم يعجب هذا الكلام وائل الأبراشى وكتب مقالا هاجم فيه المسئولين الذين منعوا المطربة السورية ميادة الحناوى لمجرد أن الموسيقار محمد عبد الوهاب طلب منهم ذلك.

والحقيقة أن المرء ليتعجب من هذا المنطق، فهو يكثف الحالة التى نتناولها هنا وهى قضية الفنان والسلطة، فيبدو أن الفنان محتاج دوماً إلى السلطة لتدعمه وتقويه، فى الفن وفى أمور الحياة، ولكن عندما يصطدم فنانين كلاهما على علاقة بالسلطة وبالنفوذ، فإن قانون الطبيعة سينتصر، وستكون الغلبة لمن استند إلى القوة الأكبر..

إننا لا نظن أن دفاع الفنانة ميادة الحناوى عن نفسها يفيد كثيراً فى هذا المجال، فهى قد قالت كلاماً يبدو مقنعاً، وهو أنها إذا كانت متهمة بشئ فلماذا عادت وبهذه الدعوة الرفيعة المستوى، ولكن أخطر ما كشفت عنه ميادة الحناوى – فى رأينا – هو أن المسئول السورى الكبير الذى اتهمت بالعمل لحسابه كان زوجها – فى السر – وأنها إذا كانت متهمة بالتخابر معه، فإن عبد الوهاب أيضاً كان على اتصال به بحكم صداقتهما.. ولكن لا يفوتنا أن نسأل: هل زواج ميادة من المسئول السورى الكبير ونحن فى سياق علاقة الفن بالسلطة – كانت من قبيل البحث عن دعم سلطوى، خاصة أنه من الواضح أن هذا المسئول هو الذى عرفها على الموسيقار محمد عبد الوهاب.

أيضاً فإنه من الممكن أن تكون ميادة – أو جزء من قضيتها على الأقل – سببها الجو المكهرب فى العلاقات بين دمشق والقاهرة فى نهاية السبعينيات، وهو تصادم سلطتين على مستوى كان ضحيتهما فنانة كنوع من الرسائل الساخنة المتبادلة.

وهذا نموذج آخر للفنان عندما يستند إلى السلطة تقوى من شأنه.

وإذا كان البعض قد أشاع أن المطربة وردة كانت وراء خروج ميادة الحناوى من مصر، لتفوز وردة بأغنية "فى يوم وليلة" وهو اللحن الذى كان قد وضعه محمد عبد الوهاب خصيصاً لميادة ليكون نافذتها فى التعارف مع الجمهور المصرى والعربى، واستند أصحاب هذا الرأى على المقولة القضائية المعروفة التى تنادى بالبحث عن المستفيد، إلا أن السيدة وردة الجزائرية نفت ذلك بشدة فى المقابلة التليفزيونية التى أجرتها معها الفنانة صفاء أبو السعود، وكانت وردة مؤثرة عندما أقسمت عبر البرنامج بأنها حتى هذه اللحظة لا تعرف شيئاً عن الأسباب التى جعلت من عبد الوهاب يمنع هذه الأغنية عن ميادة، ثم يمنحها لها – أى

وردة – وأنها لم يخطر ببالها أن تسأله عن هــذه الأســباب. وأضافت وردة أنها تعلم بالطبع أن أغنية "فى يــوم وليلــة" كانت معدة لتغنيها زميلتها ميادة (التى أشادت وردة بصوتها) ولكنها تساءلت:

هل أنا أستطيع أن أقنع عبد الوهاب بكل ما يمثله من ذكاء وقوة بأن يجعل ميادة تغادر القــاهرة كلهــا ليمنحنــى الغنوة؟!

من طريقة كــلام وردة نســتطيع أن نســتبعد هــذه الرواية، ولكننا مازلنا فى حاجة لأن نسمع أطراف أخرى فى هذه الواقعة التى تضاربت فيها مصالح الفن مع قوة السلطة. ولكن يبقى السؤال قائماً: ما هى المصلحة المشتركة وعن أى شئ كان الدفاع أو حتى الهجوم؟



عبد الحليم حافظ..

ماذا أعطته السلطة؟!

"أى صدفة هذه التى كانت فى انتظار هذا الفتى النحيل، أى صدفة تلك التى جعلت بدايته تتزامن مع بداية عصر جديد فى مصر.. صحيح أن علاقة حليم وناصر لم تكن قد ولدت بعد، ولكن علاقة أكبر كانت قد بدأت.. إنها علاقة عهد جديد وأسلوب جديد..."

فقد حليم حضن أمه قبل أن يراها.. وعندما شب احتضنته مصر.. لم يعرف كلمة (أبى) ولم تمهله الأقدار لأن يقولها ويحسها.. وعندما نضج وجد نفسه ابنا لكل المصريين، لدرجة أن احتضنه عبد الناصر زعيم الثورة نفسها.

افتقد حليم وجود (الحبيبة) فإذا به يصبح فتى أحلام كل الأجيال! فهل كان (اليتم) وعذاب الحرمان هو الدافع – أو العامل المساعد – الذى ألقى بحليم فى أحضان (ناصر) الذى كان بمثابة الأب البديل، لا الزعيم المغوار؟

ملاحظة ينبغى التوقف عندها وتحليلها من جانب المتخصصين، فقد كان اليتم هو سر من أسرار جاذبية هذا الفتى الموعود بالعذاب...

وفيما عدا ذلك فإن الفترة السياسية التى بزغ فيها نجم حليم وما شهدته من تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية، ساهمت دون شك فى صناعة ظاهرة العندليب، فقد وجدت الثورة منذ البداية فى حليم الصوت المختلف الذى

يمكنه أن يكون معبراً عنها، وفى اعتقادنا أنه لو ظهر حليم قبل خمس سنوات فقط من تاريخ ظهوره ربما لم يكن قد قابل كل هذا النجاح، ولكن أيضاً فإن سر نجاح حليم هى عبقريته فى أن يستوعب الدور المطلوب منه، حتى أنه التحم بالثورة التحاماً كاملاً، ولكنه لم يكن مجرد "كورس" لصوت الثورة، بل كان واحداً من الضباط الأحرار بغير ملابس عسكرية أو رتبة قيادية، ففى توجهاتهم واستوعبها جيداً، والأهم أنه آمن بها، ثم ساعدته الظروف بمؤلفين عباقرة مثل جاهين والأبنودى وملحنين ثوريين مثل الموجى وكمال الطويل.

ومع شعار "التغيير" الذى رفعته الثورة منذ البداية، كانت هناك حاجة فى أن يكون للثورة مطربها وصوتها الذى ينقل رؤاها وتوجهاتها إلى الناس، فى وقت لم تكن الصحف تصل فيه بدرجات كافية إلى نسبة كبيرة من الجماهير، بخلاف ما للفن من جاذبية وتشويق وقدرة على التغلغل إلى النفوس، فوجدت الثورة فى حليم نموذجاً لهذا التغيير، وهو ما يفسر عدم اضطلاع مطربين كبار ومحبوبين وقتها للقيام

بهذا الدور أمثال عبد العزيز محمود، محمد قنديل، كارم محمود أو عبد الغنى السيد...

لقد توحد حليم مع الثورة التى استفادت منه فى طرح شعاراتها، كما استفاد حليم بالطبع من الثورة، بعد أن أصبحت أغانيه الوطنية جزءا من حب الوطنى.. إنها نوع مختلف من علاقة الفنان بالسلطة، فهى علاقة إيجابية تعتمد على العطاء المتبادل فى حدود المسموح والمشروع، فلم يقدم حليم من جانبه إلا فنه، ولم تعطه السلطة من جانبها إلا رعايتها ومساندتها وبعضاً من.. حمايتها!

فى يوم فرح هدى ابنه جمال عبد الناصر، اقترب عبد الناصر من حليم وسأله: بتنام كويس يا حليم؟

قال حليم: أنام بمساعدة عقار "الموجادون".

انزعج عبد الناصر وقال لحليم: ولكن هذا العقار يجعل من يستخدمه عصبياً أثناء النهار.

هذا الحوار البسيط بين زعيم كبير كعبد الناصر وبين فنان يكشف مدى العلاقة الودية التى كانت بينهما، إنه حوار "أبوى" حميم، أشبه بالحوارات بين الأصدقاء وليس بين الساسة ومواطن بدرجة فنان، ولكنه.. حليم..

لذلك عندما يغنى حليم لناصر: "ولا يهمك يا ريس من الأمريكان يا ريس، حواليك أشجع رجال" أو "يا بركان الغضب يا موحد العرب" فإنه لا يغنى تملقاً، بل إيماناً وتجديداً للمبايعة التى وهبها حليم لناصر.

وعندما أعلن ناصر قراره بالتنحى، كان حليم أول من يخرج بعربته "البويك" برفقه صديقه الحميم كمال الطويل، ليصل إلأى بيت ناصر بصعوبة بالغة، من أجل إثناء الزعيم عن قراره...

وحليم لم يكن يفعل ذلك نفاقاً أو رياءً، باختصار لأنه لم يفعله وحده، فقد كشف لى محمد الدسوقى ابن شقيقة السيدة أم كلثوم، أن كوكب الشرق قد استقبلت خبر التنحى بصرخة مفزعة، بل وبأغنية تطالب فيها الزعيم بالعودة إلى قيادة شعبه، رغم أنها كانت لا تزال تعانى من حالة اكتئاب دخلت فى دوامتها على إثر هزيمة ١٩٦٧ المريرة.

وعندما يمرض حليم يفاجئه ناصر بالزيارة فى منزله ويرفض الجلوس فى الصالون مثل الضيوف، ولكنه يسحب كرسياً ويجلس إلى جوار حليم الذى كان قد أصابه النزيف لأول مرة فى حياته.

ولكن عبد الحليم لم تكن لديه الجرأة على أن يعامل ناصر بالمثل فيبادله الزيارة فى منزله بمنشية البكرى، ولا "كاريزمة" ناصر كانت تسمح للآخرين مهما كانت علاقته بهم لأن يتبسطوا معه أكثر من اللازم، فهو رجل دولة مهموم بقضايا وطنية وقومية والوقت لديه محسوب ومحدود جداً، فها هو حليم يقول فى لغة ذكية لناصر إنه اكتشف أن أهم شيئين فى الدنيا لصحة الإنسان هما: المشى والنوم؟

قال ناصر وقد فطن إلى أن حليم يوجه له رسالة: وامشى فين.. ده أنا لو مشيت شوية هتلاقى مكتبى ورايا!

هكذا كان ناصر مشغولا ومهموما، ولا يمكن لحليم بحساسيته التى عرفت عنه أن يذهب إلى ناصر ويحكى له مشكلة تخصه، حتى عندما تعرض لمضايقات من جانب أحد رجال الأمن بخصوص علاقته بممثلة شابة معروفة، وجد حليم حرجاً كبيراً من أن يذهب إلى منشية البكرى ليحكى لناصر ما يتعرض له من مضايقات بل ذهب إلى المشير عبد الحكيم عامر الذى كان يتبسط أكثر فى علاقاته بالوسط الفنى.

وفى رأينا أن موقف حليم فى هذا الاتجاه كان يؤكد على ذكائه المعروف عنه، فالفنان يجب أن يعرف أن هناك خطوطاً وهمية فاصلة بينه وبين السلطة مهما كانت حميمية العلاقة بينهما، فالسلطة يجب أن تكون الداعية للفنان وليس على الفنان أن يكون متلهفاً للقاء السلطة كلما تعرض لمشكلة من المشكلات.

ولكن ناصر لم يكن يبخل على حليم – ابن الثورة – بالسؤال، ففى فترة بعد الهزيمة وكان حليم قد بدأ يعانى بشكل أوضح من مضاعفات المرض، اتصل ناصر بحليم قائلاً: أنا عبد الناصر..

– أهلاً يا ريس.

– حافظ على صحتك، ومن رأيى إنك تتجوز أحسن

– حاضر يا فندم

ضحك ناصر وقال لحليم: أنا مش بأمرك. الجواز مش بالأمر لكن أنا بتمنى لك السعادة.

– متشكر قوى يا ريس.

وانتهت المكالمة السريعة ولكن بعد أن شحنت حليم بالأمل والتحدى.

ولعل الرسالة التى كتبها حليم فى رثاء الزعيم تكشف عن بعض طبيعة العلاقة بيهما: (روز اليوسف العدد ٣٣٧٧) وسوف يأتى نصفها فيما بعد.

مات ناصر ولم يستطع حليم – لأسباب كثيرة – أن يحمل مبادئ ناصر على صوته كما قال فى رثائه، ولكننا نستطيع أن نقول مطمئنين أن بعضاً من نفوذ حليم قد استمر فى الجزء الذى شهده من المرحلة الساداتية، بل إنه بسبب المكانة الخاصة التى استطاع حليم أن يحتفظ لنفسه بها فى بلاط السلطة الجديدة، فإنه قد نجح فى أن يلعب دوراً مهماً فى أزمة الكاتب مصطفى أمين، واستطاع حليم أن يوفر لمصطفى أمين إعاشة خمسة نجوم فى معتقله، وبسبب هذا تمكن مصطفى من كتابة عدد من كتبه أثناء تلك الفترة إلى أن تمكن حليم – فى ظل ظروف مساعدة – بمكانته لدى الرئيس السادات من لعب دور مهم للغاية فى عملية الإفراج عن مصطفى أمين، وكتب حليم برقية إلى على أمين من المطار – وكان على سفر – يهنئه فيها بخروج مصطفى أمين قال فيها: الأخ الأستاذ على أمين. عمارة ليبون – الزمالك – القاهرة.

بعد محاولاتى الكثيرة للاتصال بكم اكتب لكـــم مـــن مطار القاهرة فى طريقى إلى لندن. أهنئ نفسى قبلك. ألــف مبروك. ألف قبلة إلى الحبيب مصطفى.

وإلى اللقاء. عبد الحليم حافظ..

ارتبط حليم بالثورة منذ العام الأول لميلادها، بل إن ميلاده الفنى الفعلى جاء بعد ســاعة واحـــدة مـــن إعـــلان الجمهورية فى مصر وسقوط دولة الملكية. وقصة ذلــك أن السيد وجيه أباظة مدير الشئون العامة للقوات المسلحة وقتها وهى التى كانت تشرف على احتفالات عيـــد الثـــورة الأول، التقى بحليم ولما استمع إليه قال له إنه سيقدمه فى حفل حديقة الأندلس إلى جانب فريد الأطرش وشـــادية، عبـــد العزيـــز محمود، محمد فوزى وكارم محمود، فخفق قلب حليم خوفاً، واختلطت بداخله مشاعر الفرح بالقلق! وفى الليلة المحـــددة وفى تمام الساعة الحادية عشرة مساء، كان حليم يشكو لمقدم الحفل الداخلى وكان ليلتها هو الفنان يوسف وهبى من تأخر ظهوره على المسرح، وفجأة تم الإعلان عـــن خبـــر إلغـــاء الملكية وأن مصر أصحبت ذات نظام جمهورى مـــن هـــذه اللحظة، فطمأن يوسف وهبى حليم وبشره بهذه البشرى ومع

دقات الساعة الثانية عشرة كان يوسف وهبى يقدم حليم قائلاً:
"مع إعلان ميلاد جمهورية مصر سنقدم لكم ميلاد مطــرب جديد هو عبد الحليم حافظ".

أى صدفة هذه التى كانت فى انتظــار هــذا الفتــى النحيل، أى صدفة تلك التى جعلت بدايته تتزامن مــع بدايــة عصر جديد فى مصر، صحيح أن علاقة حليم وناصــر لــم تكن قد ولدت بعد، ولكن علاقة أكبر كانت قد بــدأت إنهــا علاقة عهد جديد بصوت جديد وأسلوب جديد، والنظام الجديد دائماً بحاجة إلى دماء جديــدة وفكــر جديــد تقدمــه إلــى الجماهير.. لقد ظهر حليم فى تلك الليلة ومن خلفــه ســتون عازفاً وكان هذا شيئاً جديداً تماماً من حيث الشكل، فقد كانت الفرقة لا يتجاوز عددها حتى هذا الوقت عشــر عــازفين أو اثنى عشر عازفاً على الأكثر.

ولم يكن هذا العدد الهائل يعبــر عــن ثــراء هــذا المطرب، بل أن جميعهم كانوا مــن زملائــه فــى معهــد الموسيقى جاءوا متبرعين من أجل نجاح زميلهم. أمــا مــن حيث المضمون فقد غنى حليم "صافينى مرة وجافينى مرة.. ولا تنسانيش كدة بالمرة" من كلمات سمير محجوب وألحــان

صديقه محمد الموجى، وكانت جديـدة تمامـاً فـى الشـكل والمضمون هى الأخرى.

وكان حليم من الذكاء والمسئولية بحيث ربط نفسـه مع أحلام ومبادئ الثورة، فغنى أول أغنية وطنية لـه "إحنـا الشعب" التى كان نجاحها الساحق دافعاً قوياً للاستمرار فـى هذا اللون من الغناء الذى جاء بشكل مختلف عن أى مرحلة سابقة، وجاءت مشجعاً للنظام لأن يرعى هذا الصوت المعبر عن آمال الجماهير ومبادئ السلطة فى نقطة التقاء واحدة.

وغنى حليم: بالأحضان يا بلدنا يا حلوة، قلنا هنبنـى وادى احنا بنينا السد العالى.. يا استعمار بنيناه بايدينـا السـد العالى كانت هذه الأغنيى فى ١٩٦٠، وفى العام التالى أغنية ذكريات الطفولة، وفى عام ١٩٦٤ "يـا عـديم الاشـتراكية" لمرسى جميل عزيز وكمال الطويل، وفـى ١٩٦٦ رائعـة صلاح جاهين والطويل "صورة" للشعب الفرحان تحت الراية المنصورة – وقد قالت لى السيدة منى قطان زوجة العمـلاق الراحل أن جاهين كتب هذه الأغنية بينما كانا فى القطار فى طريقهما إلى الإسكندرية لقضاء شهر العسل – وفـى عـام ١٩٦٧ جاءت أغنيات الأبنودى والطويل: بركان الغضـب،

بالدم، إنذار، اضرب، اشجع رجال، ياستعمار، راية العــرب وابنك يقولك يا بطل هاتلى نهار، وظل حليم يفتــتح جميــع حفلاته عقب النكسة بأغنية "أحلف بسماها وبترابها.. أحلــف بدروبها وأبوابها.. أحلف بالقمح وبالمصنع.. أحلف بالمدنــه وبالمدفع.. باولادى وأيامى الجايــة.. مــا تغيــب الشــمس العربية.. طول ما أنا عايش فوق الدنيا.. وقد نــذر بغنائهــا حتى يتحقق الانتصار وتمحى الهزيمة وهو ما تطلــب منــه غناءها لمدة ٦ سنوات كاملة.

وأيضاً من أغنيات هذه المرحلة أغنية الأبنودى وبليغ حمدى "موال النهار". "عدا النهار والمغربية جايــة تتخفــى وراء ضهر الشجر.. وعشان نتوه فى السكة شالت من ليالينا القمر.. وبلادنا ع الترعة بتغسل شعرها.. جانا نهار مقدرش يدفع مهرها.. يا هل ترى الليل الحزين أبو النجوم الدبلانين.. أبو الغناوى المجروحين.. يقدر ينسيها الصدى أبــو شــمس بترش الحنين.. أبداً بلادنا للنهار بتحب موال النهــار.. لمــا يعدى بالدروب ويغنى قدام كل دار".

ولا ننسى أغنية حليم إبان معارك ١٩٥٦ "يا أهــلاً بالمعارك".

استمر حليم فى غنائه الوطنى بعد عام ١٩٧٠، مما يؤكد أنه لم يكن يغنى لعبد الناصر بل كان غنائه خالصاً لمصر من أى شبهة نفاق أو تملق، فغنى أثناء حرب ١٩٧٣ "قومى يا مصر" و"الفجر لاح" و"عاش اللى قال" و"خلى السلاح صاحى" ومع تأكيد النصر وعودة سيناء "وصباح الخير يا سينا" وقد كان حليم مقيماً فى الاستوديو ومعه صلاح جاهين والأبنودى والطويل فى شبه إعاشة كاملة داخل استوديوهات الإذاعة أثناء حرب ١٩٧٣.

بالأحضان يا مصانع.. يا مزارع.. بالاحضان.. يا حصاد الثورة.. يا حلم وعلم.. بالأحضان.. يا مداين.. يا جناين.. بالأحضان.. ياللى أنت بترفع راية السلم.

إن حليم كان قائداً متمكناً وبارعاً لجمهوره الذى جمع كل طوائف الشعب ولعله قام بدور – على المستوى الشعبى – أ:بر من الدور الذى لعبه هيكل فى جمع الناس حول أهداف الثورة وزعيمها:

على رأس بستان الاشتراكية.. واقفين بنهندزع المية.. أمة أبطال.. علم وعمال.. ومعانا جمال.. بنغنى غنوة فرايحية..

كان حليم زعيماً بالملابس المدنية.. زعيماً بلا جيش أو قوة تشد من عوده، إلا قوة إحساس وصدق مشاعره:

ثورتنا المصرية أهدافها الحرية..

وعدالة اجتماعية ونزاهة ووطنية..

بعزيمة الأحرار وإيدين الثوار..

شتتنا الأشرار وجيوش الاستعمار

كما كان حليم – على ضعفه الظاهر – يحمل قوة فى التعبير جعلته ثائراً مع الثوار.. فقط بالكلمة واللحن والأداء:

انتصرنا يوم ما هب الجيش وثار..

يوم ما أشعلناها ثورة نور ونار..

يوم ما أخرجنا الفساد..

يوم ما حررنا البلاد.

مطرب كحليم له كل هذا الانتماء الوطنى والوعى القومى كان لابد وأن يحظى بمكانه خاصة لدى النظام وخاصة رأس هذا النظام وعقله المفكر سواء كان عبد الناصر أو السادات، وإن كان قد حظى بمكانة أكبر ودور أعمق لدى عبد الناصر بوصفه الأقرب إلى روح الثورة.

ونشأت علاقة من نوع متميز بين ناصر وحليم، حتى أن حليم لم يجد حرجاً من أن يشكو إلى ناصر هواجسه بأن صلاح نصر مدير المخابرات وقتها يحاول أن يورطه فى عمل ما وأنه – حليم – لا يريد لنفسه إلا أن يكون فناناً فقط. وعلى الفور أمر ناصر بأن يرفع صلاح نصر يده عن حليم، ويتركه حراً طليقاً وكذلك أمره برفع المراقبة فوراً عن تليفون حليم عندما تأكد له أن حليم مراقب، لأن المخابرات اعتبرته شخصية مهمة بالنسبة لهم يتصل بها شخصيات على مستوى رفيع من كل المنطقة العربية!

وهكذا كان يمكن أن يقع حليم فى فخ المخابرات لولا صلابته، ووضوح هدفه، وأيضاً لقربه من ناصر الذى وفر له الحماية.

كيف لا وقد قال ناصر لحليم فى أول مقابلة بينهما:

"إحنا بنعتبرك ظهرت مع الثورة"...

* * *

إن عبد الحليم حافظ لم يكن مجرد صوت عابر فى تاريخ الغناء فى حقبة معينة من تاريخ مصر، بل كان كما وصفه بحق الدكتور سيد عويس "أن عبد الحليم حافظ هو

الصوت الذى سجل للتاريخ وثائق ثورة يوليو ومكاسبها" بينما قال عنه يوسف إدريس أنه "الثورة مغناة"..

وغنى حليم للبسطاء كلمات لم تكن لتغنى إلا من خلال حنجرة هذا الموهوب الحساس، الذى يغنى بأسلوب السهل الممتع، وبكلمات العملاق صلاح جاهين وألحان كمال الطويل الذى كان له نصيب الأسد فى أغانى حليم الوطنية:

للأفراح والرفاهية حنمد طريق ع النيل..
اسمه فى الاشتراكية التصنيع الثقيل..
بس نضاعف إنتاجنا أضعاف أضعاف..
وندبر مهما احتجنا ونحارب الإسراف..
وبقرش الادخار نتحدى الاستعمار..
ونقيم جدار جبار يحمى حياة العاملين..
آدى نقطة بنقطة جميع بنقطة الخطة..

إنها خطبة سياسية كاملة مغناة على لسان العندليب، مع الفارق بأن الخطب السياسية ما كانت لتصل إلى الناس مثلما وصلت على حنجرته، ولم يكن زعيم الثورة ليقول عن نفسه ما قاله حليم: "ريسنا ملاح ومعدينا، عامل وفلاح من أهالينا.. ومنا فينا الموج والمركب.. والصحبة والريس

والزينة.. أحلف بقرآنى وإنجيلى، بهدف عظيم دايما يناديلى"
وكان هذا هو تفسير حلم للاشتراكية "مُغَنّى" بكلمات جاهين:
مفيش أنا.. فيه إحنا يا صاحبى.. أنا وأنت.. وأنت وهو وهيه
علينا نعمل اشتراكية.. من كلمة حلوة، للقمة حلوة.. وبيت
وكسوة وناس عايشين.. أدى القضية".

وبعد هذا هل لنا أن نتكلم عن علاقة حليم بالسلطة، بالنظام، بالوطنية بمصر؟



مواجهة ساخنة

بين

المشير وحليم

"الفنان بطبعه متمرد، حر، طليق، والسلطة - أى سلطة - تمثل قيداً عليه.. الصداقة بين الفن والسياسة هى صداقة محفوفة بالمخاطر.. صداقة حتى إشعار آخر!"

"عبد الحليم لم يكن صديقاً لقادة الثورة، بقدر ما كان صديقاً للثورة نفسها ذاتها. وأى حب أو صداقة أو علاقة اندفاع تجاه أى من رجالات الثورة وقادتها، كان من أساسياته ودوافعه والمحرك له، حبه للثورة وتجاوبه مع مفهومها وأهدافها وجوهرها ومبادئها التى ظهرت بها، منذ أن اعتبر عبد الحليم نفسه أبناً من أبنائها وأحد مظاهرها" أعجبتنى هذه الفقرة التى كتبها مجدى العمروسى فى كتابه عن العندليب "أعز الناس"، ففيها تلخيص لحكاية حليم مع المشير عبد الحكيم عامر – الرجل الثانى فى مصر قبل ٦٧ – الذى اقترب منه حليم كرجل من رجالات الثورة المصرية، وابتعد عنه عندما اكتشف أن المشير رجل سياسة قلبه عند مصلحته، ومنذ متى اتحدت السياسة مع الفن؟

إن الفنان بطبعه متمرد، حر، طليق، والسلطة – أى سلطة – تمثل قيداً عليه، الصداقة بين الفن والسياسة هى صداقة محفوفة بالمخاطر، صداقة حتى إشعار آخر!

الكاتب منير عامر الذى أعطاه العندليب الراحل قصة حياته ونشرها مسلسلة فى مجلة صباح الخير، ثم أصدر عنه كتاباً آخر بعد رحيله قال لى:

عبد الحكيم عامر يكاد يمثل الجسر الأساسى بين ثورة ٢٣ يوليو وبين عبد الحليم حافظ، ولم يهتز هذا الجسر إلا بعد واقعة الخلاف الشهيرة بين سيدة الغناء العربى أم كلثوم وبين حليم فى الاحتفال بذكرى الثورة المصرية عام ١٩٦٤، فقد وقف عامر بشكل واضح وقوى مع أم كلثوم.

وإذا كان عبد الناصر قد زار حليم مرة واحدة فى بيته أثناء أزمة مرضية ألمت به، إلا أن عبد الحكيم عامر كان هو الأكثر قرباً والأكثر متابعة لحليم، فهو الذى أزال العقبات أمام سفر حليم فى رحلته للعلاج بأمريكا بعد يوليو ١٩٦٣، وقام – بنفسه – بعمل الإجراءات الإدارية للسفر.

حليم كان ناصرياً أكثر منه ساداتياً، رغم أن السادات قد فتح بيته لحليم، ولكن حليم كان مرتبطاً بالثورة نفسها وبرموزها، فالثورة هى السبب الحقيقى وراء وجود حليم، حتى أن ظهوره كان فى نفس اللحظة التى أعلن فيها عن

ميلاد الجمهورية، وقد استفاد من رغبة الثورة فى أن يعبر عنها، ولكن تقربه كان من خلال حفل أقيم فى الجزائر.

وكان عبد الحليم يوجد بشكل مكثف فى مكتب المشير عبد الحكيم عامر، واستمرت بينهما العلاقة حتى حدوث أزمة أم كلثوم عام ١٩٦٤، ولكن استمرت العلاقة بيه وبين شمس بدران الذى توسط للصلح بينه وبين أم كلثوم وشمس – ليس المشير – هو الذى وفر مسرح الإسكندرية ليغنى فيه عبد الحليم أغنيته الشهيرة "يا أهلاً بالمعارك" وهو الحفل الذى أقيم لمصالحة عبد الحليم وحضرها عبد الناصر والمشير.

وربما يكون عبد الحليم قد حقق بعض المكاسب من خلال علاقته بالمشير، منها مثلاً شقة الزمالك التى عاش فيها حتى أيامه الأخيرة، وأحياناً كان يطلب من المشير تسهيل شراء سيارات "نصر" لبعض أقاربه ومعارفه.

أما على الصعيد الفنى، فقد ساعد عبد الحليم زملاءه الفنانين فى طلب موعد من عبد الناصر – وكان ذلك من خلال المشير – للنظر فى شكوى الفنانين من مبالغات الضرائب عن أرباحهم، وهو الاجتماع الذى حضره حشد من

الفنانين يتقدمهم محمد عبد الوهاب الذى لوحظ أنه لم يتفوه بكلمة واحدة طوال الاجتماع، بينما كان حليم هو أكثر المتحمسين والمنفعلين، ولذلك داعب ناصر الفنان عبد الوهاب بقوله: أنت اتكلمت كتير وشرحت الموقف كويس يا أستاذ محمد!

وعن اهتمام المشير بالفن والفنانين يقول منير عامر: بدأ ذلك من خلال صلاح نصر الذى حبب إليه الاستمتاع بمجالساتهم وتمضية بعض الوقت معهم، بالإضافة إلى أنه كان يرى فى (حليم) تحديداً تجسيداً للثورة مع عزوف عن الانغماس فيها.

ولكن العلاقة بين حليم والمشير تكسرت على أعتاب أزمة حليم مع السيدة أم كلثوم، بعد ما لاحظ حليم وقوف المشير بقوة إلى جانب كوكب الشرق، وانحيازه لرغبتها فى اختيار الموعد المتميز الذى رأت أ،ه يحقق انتشاراً أفضل لأغنيتها الوطنية والعاطفية مع الاستئثار بأذن ضيوف الحفل الكبار.

ولذلك فعندما وقعت كارثة ١٩٦٧، وما تلاها من القبض على المشير وتحديد إقامته، لم يفكر أحد فى سؤال

عبد الحليم عن علاقته بالمشير، ولم يتوقعوا عنده جديداً يفيد التحقيقات، فالعلاقة بينه وبين المشير كانت قد تحولت إلى علاقة يغلب عليها الفتور.

ومن جهة أخرى كان حل يم أذكى من أن ينغمس فى السياسة قبل ٦٧، أما بعد النكسة فقد انغمس أكثر فى لعب الورق (الكوتشينة) كغالبية المصريين فأسرف فى السهر وارتياد النوادى الليلية، ولكن مع وجود حالة حرب (الاستنزاف) فهو كان يعتبر نفسه جندياً فى الميدان.

وعن تفاصيل الخلاف بين المشير وحليم يقول مجدى العمروسى: "كانت ليلة ٢٣ – يوليو – تقام فيها حفلة ينظمها الجيش، ضيف الشرف فيها هو جمال عبد الناصر، والداعى فيها عبد الحكيم عامر نيابة عن الجيش، وكان يدعى لإحياء هذه الحفلات الصفوة من الفنانين وعلى رأسهم سيدة الغناء وعندليب الغناء، وكان ترتيب الحفل أن تغنى سيدة الغناء أغنيتها الوطنية، ثم تحضر العشاء مع عبد الناصر ومعها عبد الوهاب وعبد الحليم، ثم الساعة ١٢ يغنى عبد الحليم فى الوقت المتميز".. وفى عام ١٩٦٤ أعدت السيدة أم كلثوم قصيدة وطنية، وأرادت أن تأخذ الموعد الذى اعتاد عبد

الحليم أن يغنى فيه، وبعد أن تنتهى هى يبدأ حليم فى الغناء بعد الثالثة صباحاً، وكان من ضيوف الحفل الامبراطور هيلاسلاسى والرئيس بين بيلا والرئيس نكروما وغيرهم.

وكان طريق السيدة أم كلثوم لتنفيذ ما أرادت هو المشير عبد الحكيم عامر – الذى كان العندليب يظن أنه صديقه – قالت أم كلثوم للمشير، إن المسرح حر جداً وليس به تكييف، وأنها تتعب من التأخير وأضافت حسب رواية الأستاذ مجدى العمروسى: "أنا عاوزة أغنى أغنيتى الوطنية وبعدها العاطفية وأروّح، وأترك لكم المسرح بعد ذلك أنتم أحرار فيه".

وكانت علاقة السيدة أم كلثوم بالمشير تسمح لها بهذا الطلب فيما يبدو، ولكن المشير ربما لأنه اعتقد أن الأمر عاديا، وربما لسبب آخر، لم يبلغ الأمر لعبد الحليم، ولم يعلم حليم ذلك إلا قبل الحفل بساعة واحدة فقط! فذهب مسرعاً إلى حيث مكان المشير وأبلغه بأنه لن يغنى فى هذا الحفل، ولكن المشير كان فى غاية الرقة وهو يهدئ من غضب العندليب لدرجة أنه كان يمسك شعر رأس حليم وهو يطلب منه العدول عن موقفه، بل وأخبره أن موافقته على طلب أم كلثوم

جاء دون أن يعرف أن فى الأمر ما يغضبه وأثناء الحــوار المشترك بين المشير وحليم مر بهما الرئيس عبــد الناصــر وعرف أ، حليم غاضب من موعد غنائــه، إلا أن المشــير عامر خفف الأمر وقال: إن سبب غضب حليم هو أنه سيغنى بعد انصراف الرئيس وضيوفه، وفوراً أصدر ناصر قــراراً بتأجيل موعد سفر ضيوفه، ليستمعوا جميعاً لغناء حليم. ولكن حليم لم ينس ما فعلته كوكب الشرق، فبدأ وصــلته الغنائيــة بكلمة وجهها لحضور الحفل قائلاً: "إنه شرف عظيم أن يختم أى مطرب حفلاً تغنى فيه سيدة الغناء أم كلثوم، ولكن اللــى أنا مش متأكد منه، إن كان ده شرف ولا مقلب من السيدة أم كلثوم".

وتكهرب الجو...

وفى اليوم التالى تم إبلاغ حليم أن المشير عامر يريد رؤيته فى المعمورة، ولم يكن حليم يدرى أنه فى هذه المقابلة سيرى مشيراً آخر غير الذى يعرفه واعتاد رؤيته، فقد ذهب إليه فى المعمورة ليجد رجلاً متجهماً، تجاهل حتــى التحيــة التى وجهها إليه حليم عند دخوله غرفة المكتــب، وتظــاهر المشير بأنه منهمك فى دراسة أوراق أمامه، وكان بصــحبة

حليم فى ذلك اليوم صديقه مجدى العمروسى وعلى إسماعيل، ورغم أن مجدى العمروسى يؤكد على أن اصطحاب على إسماعيل معه بسبب اعتقاد حليم فى أنه ذاهب لتسلم وسام أو نشان بمناسبة إجادته الغناء فى حفل الليلة السابقة، إلا أن الأمر يبدو وكأن حليم يخشى رد فعل المشير بسبب جملته الغاضبة فى حق كوكب الشرق التى تأكد من التقرير الشديد والمكانة الخاصة لها عند المشير عامر(!).

وبصوت جهورى فيه رائحة (الشخط) سأل المشير:

– إيه اللى إنت قلته إمبارح ده؟ هى أم كلثوم اللى بتنظم الحفل واللا الجيش؟

وأردف قائلاً بنفس لهجته الغاضبة: بكرة يا أستاذ تنشر فى كل الجرايد اعتذار صريح تعتذر فيه للسيدة أم كلثوم عن اللى قلته.. فاهم؟".

وكاد عبد الحليم أ، يبكى وهو يسمع هذه النبرة من المشير وقال بكبرياء الفنان: "شوف يافندم أنا مطرب صغير، وسيادتك الرجل الثانى فى مصر، ممكن تمنعنى من الغناء، تودينى السجن الحربى، ممكن تخرجنى من مصر، لكن لا يمكن أبداً سيادتك أو أى مخلوق يقدر يخلينى أنزل عن

كرامتى وأعتذر لأى مخلوق مهما كان، ولو كانت الست أم كلثوم"...

ونادى حليم على صديقيه: ياللا يا مجدى.. ياللا يا على وخرجوا جميعاً من الغرفة وسط صياح المشير: يا شمس.. يا شمس.. حوش المجنون ده!!

وفى العام التالى (١٩٦٥) اختار المشير السيدة أم كلثوم لتحى عيد الثورة منفردة بدون حليم ورد عبد الناصر بتنظيم حفل خاص فى الإسكندرية لحليم..

هذه هى صورة مبسطة ولكنها واضحة لشكل العلاقة بين الفنان والسلطة.. قوة وبطش وكبرياء قد يدفع الفنان ثمنه.

ورغم ما قاله لنا الكاتب منير عامر، فإن الكاتب عادل البلك فى كتابه "عبد الحليم حافظ يؤكد على أن العلاقة بين المشير وحليم كانت طيبة وودية أ:ثر من اللازم، فكان المشير يترك كل أعماله وأعبائه عندما يشاهد حليم و... بالأحضان!

والأهم من ذلك فإن عادل البلك يكشف عن وفاء العندليب لأصدقائه، وخاصة صداقته مع المشير عامر، حتى

بعد واقعة انحياز المشير لسيدة الغناء فى عام ١٩٦٤ بسنوات، وهو يقول فى هذا السياق: "وإذا كان المشير عامر قد منعه من الغناء فى احتفالات ٢٣ يوليو، فإنه لم يترك المشير فى أزمته مع الزعيم الراحل عبد الناصر... كان يزوره دائماً فى فيللته بالجيزة عندما تحولت الفيللا إلى ترسانة مسلحة أو "قشلاق" بها قليل من الجنود، وكثير من الصعايدة الذين حضروا من بلدة المشير "اسطال" ومعهم أسلحتهم.

ويمضى البلك فى روايته لهذه الواقعة المهمة فيقول:

- كان مجدى العمروسى ينتظره على باب الفيللا، وشاهد الرئيس عبد الناصر يدخلها، وكان الرئيس عبد الناصر حريصاً على أن يذهب بنفسه لإخراج صديق الشباب ورفيق السلاح المشير عامر، قبل أن تهاجم الفيللا ويحدث ما لا تحمد عقباه، وإن كان حدث بصورة أو بأخرى بعدها بأيام قليلة.

وعندما شاهد الرئيس عبد الناصر عبد الحليم نادى عليه وقال له:

- أنت بتعمل إيه هنا؟

- وقال حليم: أبداً يا فندم أنا بازور المشير!

فقال له عبد الناصر: طيب روّح أنت.

وبقى عبد الناصر واقفاً حتى شاهد بنفسه عبد الحليم وهو يركب سيارته ويتحرك بها.

هنا يقول مجدى العمروسى:

- فى الطريق شاهدت الدبابات تملأ الشوارع المحيطة بفيللا المشير، ودبابات أخرى فى طريقها إليها، وعرفنا أنها نهاية الصداقة الطويلة العريضة التى ربطت بين الزعيم والمشير، ونهاية سلطة المشير وسلطانه.

وكان هذا نموذجاً لصداقة من نوع خاص بين فنان وأحد مراكز السلطة، نموذجاً لصدق الفنان ووفائه تجاه سلطة كانت تتهاوى وتسقط من علٍ.

وكان أجمل ما فيها أن الفنان لم يكن يبحث عن مصلحة فى آخر مراحل الصداقة، وإن كان قد وجدها فى بدايتها!

حليم كان يصادق فى السراء والضراء، يعانق فى أيام الفرح ولا يهرب فى لحظات الدموع!!



العندليب

و

المخابرات

"ومن هنا كانت المواجهة الخطرة بين صلاح نصر وعبد الحليم حافظ، وزادها سوءاً علاقة عبد الحليم القوية مع الكاتب مصطفى أمين والفنانة شادية التى كانت تتعرض فى ذلك الوقت لمضايقات من بعض أعوان صلاح نصر.. وتأكد عبد الحليم من أن تليفونه تحت المراقبة..."

وكان اقتراب حليم من القيادة السياسية فـــى مصـــر عقدى الخمسينات والستينات يثير عليه أشخاصـــا وجهـــات عديدة، خاصة مع احتلاله لمكانة لم يسبقه إليها فنان، فها هو أنور السادات يقول: "إن محمد حسنين هيكل يجلس فى عقل عبد الناصر، ويقرأ أفكاره ويعبر عنها فى كتاباته.. وإن عبد الحليم حافظ يجلس فى حنجـــرة عبـــد الناصــــر، ويوصـــل للجماهير ما يريد أن يقوله بأغانيه".

إلى هذا الحد كان يعلم كل من حول عبـــد الناصـــر بأهمية عبد الحليم بالنسبة له وبالنســـبة للثـــورة المصـــرية. وبالطبع فإ، عبد الحليم كان يعلم مكانته عند الرئيس، فكـــان يخاطبه مباشرة إذا ما تعرض لأية مضايقات، وكان لا يجـــد حرجاً فى أن يكتب له الخطابات التى يئن فيها بالشـــكوى أو حتى يلمح، رغم أنه كان مسموحاً له بزيـــارة منـــزل عبـــد الناصر والجلوس مع أسرته وأولاده فى أى وقت يشاء حليم. وها هو يكتب ذات يوم إلى الرئيس شاكياً: "هناك يا ســـيادة الرئيس من يحاولون أن يباعدوا بينى وبين الغنـــاء للثـــورة،

وحينما أغنى بستان الاشتراكية، فإننى أحاول التعبير عن أحلامك وبصفتى واحداً من جنودك".

وقد تأثر الرئيس عبد الناصر بهذا الخطاب تأثراً بالغاً وقام بالاتصال تليفونياً بالعندليب فور انتهائه من قراءة الخطاب، وطمأنه وطلب منه ألا يهتم بشئ قدر اهتمامه بصفته وبفنه. ولم تكن علاقة عبد الحليم بالسلطة قاصرة على علاقته بالرئيس جمال عبد الناصر، بل إنه ارتبط بعلاقات صداقة مع عدد كبير من القادة والمسئولين منهم المشير عبد الحكيم عامر، وشمس بدران مدير مكتب المشير والرجل القوى حينئذ، حتى أننا نجد ضمن أوراقه ووثائقه الشخصية – وثائق العندليب – بطاقة من المشير تحمل اسمه وصفته: المشير عبد الحكيم عامر – نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة، ومدون عليها عبارة "مع أطيب الأمنيات بالشفاء العاجل".. وهى مجاملة رقيقة تعبر عن مكانة العندليب عند مرسل البرقية.

فى حين أن صلاح نصر رئيس المخابرات العامة وقتها لا يرتاح إلى عبد الحليم، ويبدو أنه كان يضايقه هذه الصلة المباشرة بين عبد الحليم والرئيس عبد الناصر، وكان

يرى أن عبد الحليم أخذ حجماً أكبر من حجمه – لاحظوا النظرة القاصرة إلى الفن والفنان، وزاد الغضب – والخطر – على عبد الحليم عندما حاول رئيس المخابرات – صلاح نصر – تكليف عبد الحليم حافظ ببعض العمليات للحصول على معلومات من شخصيات رفيعة المستوى لصالح جهاز المخابرات.

فيما كان عبد الحليم يرى أن هذا الدور ليس أبداً هو الدور الذى يجب أن يلعبه الفنان، خاصة إذا كان فناناً له مكانته الرفيعة ومصداقيته عند الملايين من معجبيه.

ومن هنا كانت المواجهة الخطرة بين صلاح نصر وعبد الحليم حافظ، وزادها سوءاً علاقة عبد الحليم القوية بالكاتب مصطفى أمين والفنانة شادية التى كانت تتعرض فى ذلك الوقت لمضايقات من بعض أعوان صلاح نصر، بينما قصة الأستاذ مصطفى أمين معروفة بين اتهامه بالعمالة والتبرئة منها، وتأكد لعبد الحليم أن تليفونه تحت المراقبة، وأن أغانيه أصبحت قليلة الإذاعة، وعن طريق شمس بدران التقى عبد الحليم بالمشير عامر، بناء على نصيحة من عبد الوهاب الذى قال له إن أردت اختصار الطريق فأطلب من

المشير أن يحدد لك موعداً عاجلاً مع عبد الناصر، ونفذ عبد الحليم النصيحة بحذافيرها، وفى اليوم التالى لمقابلته للمشير جاءه تليفون عند الظهر وقال له المتحدث: أنا جمال عبد الناصر!

ويحكى عبد الحليم فى مذكراته ما حدث بعد ذلك قائلاً: ".. وارتجفت ووقفت وقلت: أهلاً يا فندم.. ده كرم كبير من سيادتك.. فقال لى: اطمئن.. متاعبك فى الإذاعة حاتنتهى فوراً.. وأنا سمعت إنك زعلان لأن أغانيك لا تذاع بالشكل الكافى وده مش معقول.. أنت ثروة قومية يا عبد الحليم.. فقال عبد الحليم والدموع تملأ عينه: مش عارف أشكر سيادتك إزاى لاهتمامك رغم مشاغلك الكبيرة: فضحك الرئيس وقال لى: بس حافظ على صحتك.. وأنا رأيى إنك تتجوز علشان حد يرعاك وياخد باله منك.. فقلت – عبد الحليم – أوامرك يا فندم! فضحك عبد الناصر وقال: ألجواز مش بالأوامر لكن أنا بتمنى لك السعادة".

ولكن لم تهدأ المضايقات لعبد الحليم، بل أن أحد الأشخاص جاءه ذات يوم قائلاً له: أنا باحذرك يا عبد الحليم أنهم لن يسمحوا لك بتجاوز الخطوط الحمراء فى علاقتك

بعبد الناصر، وفى تلك الأثناء لاحظ أن المشير عــامر بــدأ يضيق به بعد أن لاحظ ازدياد حب عبد الناصر له، فى حين كان المشير أكثر ميلاً للسيدة أم كلثوم، كما أن علاقته كانــت قوية من صلاح نصر نفسه! واستغل صلاح نصر صــداقة عبد الحليم مع مصطفى أمين وحاولوا إفساد علاقة الــرئيس عبد الناصر بعبد الحليم على اعتبار أن مصطفى أمين كــان متهماً فى ذلك الوقت بالتخابر لحساب المخابرات الأمريكية، خاصة أن حليم كان صديقاً وفياً لأصدقائه وكان يدافع عــن مصطفى أمين متحدياً الجميع، وأعد صلاح نصر مجموعــة من التقارير تشير إلى أن ثمة جلسات تتم فى منــزل عبــد الحليم وتعادى النظام، بالإضافة إلى تقارير أخــرى تشــير بأصبع الاتهام إلى علاقة عبد الحليم بأمراء ســعوديين فــى وقت كانت العلاقات فيه متــوترة بــين مصــر والمملكــة السعودية، وطلب عبد الحليم بعناد أن يدلى بشهادته فى قضية الأستاذ مصطفى أمين فقد كان يعلم أن اتصالات مصــطفى أمين بالأمريكان تتم بعلم الرئيس عبــد الناصــر شخصــياً، ورفض ذلك بشدة صلاح نصر.

وأثيرت حملة منظمة ضد عبد الحليم استغلوا فيها إنشغاله بالقضية التى ثارت وقتها حول زواجه من الفنانة سعاد حسنى – وهى القضية التى لم تحسم حتى هذه اللحظة – ورددوا أن عبد الحليم انشغل بسعاد حسنى عن مهمته فى الغناء للثورة.

وبدا أن الحملة هدفها الأول هو القضاء على عبد الحليم فنياً ونفسياً!

وأبلغ عبد الحليم صديقه شمس بدران بأن تليفونه مراقب، وفى اليوم التالى تأكد الرئيس عبد الناصر بنفسه من صدق المعلومة وأمر برفع المراقبة عن (صوت) الثورة! وهكذا كلما اشتدت المضايقات والمخاطر على العندليب، لجأ إلى قمة هرم السلطة ممثلة فى الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً، لينقذه بقرار جمهورى شفهى! ولذلك جاءت رسالة الرثاء التى كتبها عبد الحليم حافظ للزعيم عبد الناصر يوم وفاته مؤثرة وعميقة المعانى.. ولنقرأ برقية عبد الحليم فى رثاء الزعيم: "يا زعيمنا العظيم..

بعد أن استرجعت أول أنفاس من حول صدمة رحيلك عنا – طلبوا منى أن أكتب كلمة عنك، أحس أن هناك

سدوداً توضع فى طريق جيل الفنانين الذى تربى على مبادئك وشرب منها وآمن وعمل بها.. وكنت يا زعيمنا العظيم تشير لنا كيف نتخطى هذه السدود دون أن نصاب بجرح ولو بسيط.. ودون أن نصيب أيضاً أحداً ممن يقومون بوضع هذه السدود فى طريق تقدم جيلك من الفنانين.. كنت تقول إن هذا صراع الحياة.. لا تخافوا.. تقدموا.. وقدموا كل ما عندكم من فن.. إننى يا سيدى الرئيس الحبيب.. يا أغلى ما فى الحياة بمصر والعروبة.. والشرق.. إننى سأحمل مبادئك على صوتى.. أرددها مدى وجودى فى كل مكان فى العالم.. كما كنت أفعل دائماً.. فأنت باق فى نبضى وكيانى.. ودمى.. أنت وكل مبادئك العظيمة الخالدة.. رحم الله روحك الطاهرة وأعان مصر والعرب".

....

ورحم الله عبد الحليم حافظ.

* * *

٩

ميم اللبنانية
واللعبة مستمرة

"تكشف القصة عن الرغبة المستمرة فى استناد بعض الفنانين والفنانات إلى قوة السلطة، كما توضح ذوبان الخيط الرفيع بين الفن والكبار".

وفى هذا السياق فإن آخر ما تم اكتشافه من قضايا حول بعض الفنانات العربيات- كان من خلال مقال كتبه الصديق وائل الإبراشى فى مجلة روز اليوسف فى عددها رقم (٣٨٤٥) بتاريخ ٢٠٠٢/٢/١٦ حيث كتب هذه القصة التى استطاع كصحفى أن يتوصل لبعض أسرارها، وهى تكشف بجلاء عن الرغبة القوية فى استناد بعض الفنانين والفنانات إلى سلطة، كما توضح ذوبان الخيط الرفيع - للأسف - بين الفن والأجهزة الأمنية والمخابراتية!! وأترككم مع سطور وائل الإبراشى والتى استخدم فيها الكلمات الواضحة التى تسمى الأشياء بمسمياتها ولم يلجأ إلى أسلوب المراوغة أو الإيحاء:

"منذ عامين هاجمتُ المسئولين الأمنيين المصريين السابقين الذين منعوا المطربة السورية ميادة الحناوى من دخول مصر لمجرد أن الموسيقار المبدع الراحل محمد عبد الوهاب طلب منهم ذلك، وهو يبكى مترجياً إياهم إنقاذ بيته من الخراب لأن زوجته نهلة القدسى هددته بالرحيل إذا

حضرت ميادة الحناوى إلى مصر، وكانت نتيجة ذلك المنـــع القسرى الظالم أن الجمهور المصرى استقر فى يقينه ما تردد وقتها من أن ميادة الحناوى تعمل مع جهاز مخابرات عربى للتجسس على مصر.

ويمضى وائل الإبراشى فى سطوره قائلاً: وبعـــدها اتصل بى مسئول لبنانى بارز – قال إنه لن يكشف عن اسمه – ولكننى مضطر الآن للكشف عن مضمون مكالمته.. قـــال لى: يا أخى أنت دافعت عن ميادة الحناوى على اعتبـــار أن إنقاذ بيت فنان كبير مثل عبد الوهاب لا يجب أن يكون ثمنه وأد حرية فنانة عربية خاصة أن مصر هى أم العرب. طيب فيه فنانة لبنانية جميلة وصوتها عذب ورائع وممكن تـــنجح مثلما نجحت اللبنانيات نوال الزغبى ونجـــوى كـــرم وديانـــا حداد، ومثلما نجح راغب علامة ووائـــل كـــافورى، ووليـــد توفيق.. قلت للمسئول اللبنانى: وماله تيجى مصر وتـــنجح، فرد: ما تقدرش تيجى لأنهـــا المطربـــة اللبنانيـــة الوحيـــدة الممنوعة من دخول مصر وهى لا تعرف سبباً لذلك، وسبق أن تقدمت بأكثر من طلب للسلطات المصرية لرفع اسمها من

قوائم الممنوعين من دخول مصر.. سألته: ما اسمها.. قال: ميم اللبنانية.

وسأل الإبراشى مسئولاً مصرياً وكل ما عرفه أن ميم ممنوعة من دخول مصر لأسباب أمنية، وهذه العبارة نترجمها دائماً إلى أن المنع سببه الاشتباه فى أو اليقين من علاقة هذه الفنانة بأجهزة مخابراته عربية أو أجنبية، ولما قابل المسئول اللبنانى أخبره بسبب منع ميم فرد غاضباً: يا أخى الماضى يموت! وبعدين عاملوها زى ملكة جمال العالم السابقة "ج" المتزوجة الآن من المطرب اللبنانى "و"، وكانت قبل ذلك متزوجة من أخطر شخصية فلسطينية الذى كان ملقبا بالأمير الأحمر، ياسر عرفات والذى قتل على يد الإسرائيليين منذ ٢٣ عاماً) وفى ذلك الوقت كانت منظمة التحرير الفلسطينية تهاجم مصر وتتهم نظامها بالخيانة، ومع ذلك لم تتعاملوا معها بنفس المعايير الأمنية التى تطبقونها على الغير".

وبعد ذلك ينقلنا وائل الإبراشى إلى هذا الاكتشاف "المهم وأنا أتصفح كتاب روبير حاتم الملقب بـ"كوبرا" الذى كان كاتماً لأسرار "إيلى حبيقة" السياسى والعسكرى اللبنانى

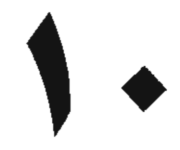
الخطير الذى قتل بسيارة مفخخة، أقول وأنا أتصفح الكتـــاب الملغم والمحظور وقع بصرى على اسم ميم اللبنانية ضــمن أسماء الفنانات اللبنانية اللاتى اقتربن من إيلى حبيقة حســبما كشف كاتم أسراره الملقب بـــ"كوبرا" وكانت المفاجأة لى أن المسئول اللبنانى الذى حدثنى فى أمر ميم كان هو أيضاً أحد الذين ارتبطوا بعلاقات سياسية وطيدة جداً مع إيلى حبيقـــة، وأحد الذين ساعدوه فى الانتقال من العلاقات مع إسرائيل إلى التحالف مع سوريه.

وليس هذا كل ما فى سطور المقال بـــل إن هنـــاك إشارة إلى اسم آخر لمطربة لبنانية أخرى تم ترحيلهـــا مــن مصر إلى لبنان فى ١٣ ديسمبر عام ١٩٩٤ هـــى مطربـــة لبنانية شهيرة تكشف المعلومات لأول مرة عن أنها قد ســبت مصر والمصريين فى مشاجرة لها مـــع أحـــد المـــواطنيين المصريين عقب وقوع تصادم بين سيارتيهما أعلى كوبرى ٦ أكتوبر، كما أنها (اقتربت) من ابن مسؤل سابق فى محاولـــة للحصول على دعم وقوة وسلطة ونفوذ ليساعدها على تحقيق أحلامها فى (الصعود)...

....

كل هذه المعلومات الحديثة تعنى أن اللعبة لـــم تنتـــه بعد... لعبة الفن والسلطة!

* * *



كنترول

النجمة (س)

"انطلق نجم هذه الفنانة المميزة بسرعة هائلة منذ العمل السينمائى الأول، حتى حصلت على لقب يسعد كل فتاة الحصول عليه، وأصبحت بالفعل فتاة أحلام الشباب، وساعدها على ذلك شخصيتها المرحة، المنطلقة، المحبة للحياة، ساحرة الابتسامة.. حتى كادت هذه الابتسامة أن تنطفئ، فبعد أن حققت نجوميتها، كانت هناك عين ترصدها بخلاف عيون جماهيرها المحبة".

لن يسعدنى أن يتعرف القارئ – بسهولة أو بصعوبة – على بطلة هذا الفصل الذى فضلت أن أشير إليها بحرف واحد فقط على سبيل الرمز. وسبب حرصى على إخفاء اسم صاحبة هذه المغامرة التى دُفعت إليها دفعاً هو جماهيريتها العريضة، وشعبيتها الطاغية، وحالة البهجة التى حققتها لمحبى فنها، ومازالت تحققها بأعمالها التى تحرض مشاهديها على حب الحياة. والحقيقة أن صراعاً داخلياً عنيفاً نشب فى داخلى قبل أن أكتب هذا الفصل المقتضب وسبب الصراع هو السؤال الذى حيرنى بشدة: هل كل ما نعرف يقال أو لا يقال؟

وقبل ذلك: هل كل ما نعرف حقائق أم كثير منه أكاذيب وأساطير؟

وهل التعرض لمثل هذه المغامرة لنجمة أحزنت مصر كلها عند رحيلها يعد عملاً مشروعاً، أم هو نبش فى القبور؟

والحقيقة أننى استقريت عند وجهة نظر ترى أن الحقائق – إن كانت كذلك – يجب أن تعلن وهو ما اصطلح على تسميته بحق المعرفة.

هذه واحدة.

وأن حياة المبدعين يجب أن تكون محل دراسة وبحث، فربما أفاد ذلك الباحثين يوماً ما وتلك واحدة أخرى.

ولكن الذى دفعنى فى اتجاه بحث هذه الحالة التى أرجو أن تكون وقائعها عكس الحقيقة رغم ذكر هذه الوقائع فى تحقيقات ومحاكمات رسمية، فيما عرف بتحقيقات محكمة الثورة، دفعنى لذلك أن أتناولها كقصة تجسد الزج بالفنان ودفعه دفعاً للاشتراك فى لعبة السلطة، لعبة الكبار، لعبة الكراسى الخطرة. أعرف أن بعض الفنانين كانوا هم الساعين إلى مصادقة السلطة، ومن ثم اللعب معها لتحقيق أهداف مختلفة تشترك فيما بينها فى (المصلحة)، السلطة تريد شعبية الفنان وعلاقاته المتشبعة والأبواب المفتوحة أمامه (بصرف النظر عما تؤدى إليه هذه الأبواب) ومن ثم تصل إلى ما تحب أن تصل إليه.

أما الفنان الذى يحترق شوقاً إلى سلطة تدعمه، ونفوذ يفرضه، فهو يسعى إلى الدخول فى لعبة مثيرة، لعبة تحقق له المتعة حتى لو اقترنت بكثير من التوتر، لعبة تحقق له التفوق على أقرانه، والمرور من الباب الملكى إلى رحابة الشهرة الأوسع والنجومية الأكثر بريقاً ولمعاناً.

وفى الحقيقة – الفنان المغامر – يبحث عن (دور) أكثر إثارة، يرسمه له الكبار، ويؤديه هو بتصرف، يستخدم فيه كل إمكاناته الجسدية والعقلية، دور بلا رقابة تحد من حريته، وبلا سيناريو مؤكد، بل إنه سيناريو يعتمد على الارتجال، يقول فيه ما يريد، ويسمع مالا يتوقع!!

وفى هذه الحالة التى نرصدها فى هذا الفصل من الكتاب دور لفنانة بدأت فطرية، بكر، بسيطة إلى أبعد الحدود، إذا ابتسمت لك فكأنها الدنيا تبتسم، وإذا نظرت بعينيها الناعستين، فكأنهما هما وردتان تتفتحان من أجلك أنت، أما قوامها فرشيق رشاقة غزال شارد اكتشفتها السينما، فاكتشفها الناس منذ أول أدوارها، أحبوها.. رفعوها إلى مصاف النجمات، بل وصعدت فوق أعلى هرم النجومية.

ولكن يثار أحياناً اللغط حول حيـــاة بعـــض النجـــوم الشخصية، ويقال فى ذلك الكثير، ولكن لم يتقدم أحد ليحلل لنا ما الذى يحدث للبراءة حتى يحدث لها هذا التحول.

لم يقل لنا أحد كيف تفسد الأضواء – أحياناً – مـــن نحبهم؟

ولكن طبعاً سيعود بنا المحللـــون والمفســـرون إلـــى النشأة والبيئة والظروف الاجتماعية والنفسية.. وأشياء كثيرة ولكن يبقى اللغز قائماً!

ولكن هذه النجمة ولنرمز لها بالحرف (س) لم يكـــن فى ذهنها المغامرة مع الكبار ولا الـــدخول فـــى مغـــامرات المخابرات، ولكن البعض حاولوا دفعها دفعاً لذلك، ورغم أنه قد قيل ما قيل عن تجنيد – أو محاولات تجنيد – عـــدد مـــن الفنانات فى ذلك الوقت، إلا أننا لن نسرف فـــى (الاعتمـــاد) على هذه الروايات، إلا من خلال هذه القصة التى تكشف عن أسلوب ما – قيل أنه تكرر – فى التجنيد والسيطرة على هذه النجمة، لنرى كيف كان رد فعلها، وما هى درجة حماســـها للدخول فى تلك اللعبة الخطرة.

فقد انطلق نجم هذه الفنانة بسرعة هائلة منذ العمل السينمائى الأول لها حتى حصلت على لقب يسعد كل فتاة الحصول عليه ويشير إلى رقتها وعذوبتها وجمالها وأصبحت بالفعل فتاة أحلام الشباب، وساعدها على ذلك شخصيتها المرحة، المنطلقة، المحبة للحياة، ساحرة الابتسامة.. حتى كادت هذه الابتسامة أن تنطفئ، فبعد أن حققت نجوميتها، كانت هناك عين ترصدها بخلاف عيون جماهيرها المحبة.

ولم تكن هذه العين سوى عين صلاح نصر مدير جهاز المخابرات المصرية فى ذلك الوقت، وحسب رواية اعتماد خورشيد التى سجلتها فى كتاب ممنوع لها، وحسب ما قالته فى اعترافاتها فى محكمة الثورة، فإن النية كانت تتجه فى ذلك الوقت داخل جهاز المخابرات لتوسيع قاعدة مندوبات المخابرات من الوسط الفنى، وكانت النجمة الرقيقة (س) من بين المرشحات لهذا الغرض، بينما كان هناك رأى معارض من أحد قادة المخابرات على تجنيد الفنانات باعتبار أن هؤلاء الناس (الفنانين) "كلامهم كثير"!

ولكن انتصر الرأى الأول وحدد الأمر بالقيام بعملية السيطرة "الكونترول" على النجمة (س) لكى يتم تجنيدها

للعمل كمندوبة للمخابرات بحجة أنهـــا أصـــبحت مشـــهورة وأصبحت لها شبكة قوية من العلاقات مع شخصيات مهمـــة ومرموقة داخل مصر وخارجها!

وعلى الفور تم وضع خطة محكمة لاصطياد النجمة (س) وجذبها إلى السنارة، ولكن بقى فقط البحث عن طُعـــم يتمتع برائحة نفاذة وطعم مقبول لكى يجذب إليـــه النجمـــة، وبالفعل رشحت إحدى المندوبات وهـــى راقصـــة ســـابقة، رشحت الممثلة – (ل) كوسيط تستطيع أن تساهم بعملية فرد الشباك وتدفئة المياه لصعود السمكة (س) إلى السطح، وهى تعلم بالطبع أنها ستهوى بها بعد ذلك إلى القاع بعد أ، تكـــون ساهمت فى سلب إرادتها!

وتستمر القصة بعد ذلك – ولسنا مضـــطرين إلـــى قبولها كاملة – لتروى كيف أن هذه الممثلة قامـــت بعمليـــة تعارف بين النجمة (س) وبين أحد الأشخاص الذين قدمته لها على أنه سائح فرنسى، ولم يكن هذا السائح ســـوى متـــرجم اللغة الفرنسية، فى جهاز المخابرات، ويقال – حســـب هـــذه الرواية – أنه قدم للنجمة مبلغ (٣٠٠) جنيه لها على ســـبيل الهدية، وبعد ذلك نجح فى اصطحابها إلى مكان آمـــن فـــى

منطقة مصر الجديدة. وطبعاً يمكن استنتاج الخطوة التاليـــة، وهى تصوير النجمة – بـــدون علمهـــا طبعـــاً – لاســـتخدام الشريط فى الضغط عليها وإجبارها على العمـــل كمندوبـــة للمخابرات، ولكن ما لم يكن متوقعاً بالمرة هـــو أن يحضـــر التصوير مدير المخابرات بنفسه حسب هذه الرواية التـــى لا نعلم مدى حقيقتها، وأن يضبط بنفسه الكاميرا ليحـــدد زوايـــا التصوير وأحجام اللقطات.

ولم يكن صعباً بعد ذلك أن توقع هذه النجمة وهى فى هذه الحالة السيئة، والأعصاب المنهارة على إقرار بتعاونهـــا مع المخابرات كمندوبة وهو نمـــوذج معـــد ســـلفاً يوقعـــه المندوبون، كما وقعت على كراسة تعـــرف باســـم "P.R.G" ولست أدرى هل هو شئ طريف ما تذكره وقائع تلك القصة من أنه تم استرداد مبلغ الـــ"٣٠٠" جنيه التى أعطاها المترجم للنجمة لتعود إلى خزانة المخابرات؟!

ولكن كان هناك رأياً داخل الجهـــاز يـــرى أن هـــذه القسوة التى عوملت بها النجمة لم يكن فى صـــالح العمليـــة، ومن هنا تم استرضاءها بالذهاب إليها فى منزلهـــا وتقـــديم بعض الهدايا لها على سبيل الاعتذار.

ولكن الملفت للنظر أن النجمة لم ترضخ لهذه الضغوط القاسية، ولم تنفذ بنود الإقرار الذى وقعته على نفسها، بعد أن شعرت بالمهانة والمذلة من طريقة التعامل معها وهى النجمة التى تلهب المشاعر بإطلاله واحدة منها على الشاشة الفضية، ولم تخش الشريط الذى سجل لها صوت وصورة. وأمام إصرارها وعنادها وعدم رضوخها انتهت علاقتها بالمخابرات، فلم تقبض مكافأة واحدة من مكافآت جهاز المخابرات، لأنها ببساطة لم تقم بعملية واحدة لحساب الجهاز، بعد أن تهربت من الرد على نداءاته، وبعد أن اختفت عن العيون لفترة.

ولكن الصدفة وحدها عادت لتجعل من هذه النجمة ذائعة الصيت حديث كل بيت وكل محب لفنها عندما انتهت حياتها بعد ذلك نهاية غامضة بعد نحو أربعة عقود من هذه المغامرة القاسية.

* * *



سعاد حسنى

والسؤال المحير

هل قتلها الموساد؟!

"وعرفت السندريلا حرفية الاختفاء عن عيون الناس.. إنها لا تقوى على مواجهتهم وهم ينادونها بـ"زوزو".. لا تعرف إن كانت هى زوزو أم لا.. حدث لها هذا عندما تزامن ابتعادها فترة من الزمن عن زوزو مع زيارة ضيف ثقيل هو: المرض"

رغم أن غالبية الناس قد ترى عكس هذا الــرأى، إلا أننا نعتقد أن سعاد حسنى لم تكن محظوظة فى حياتها.. نعم سعاد عاشت حياتها سلسلة من العذابات بدءاً مــن طفولتهــا التعسة الممزقة وسط (١٧) أخ وأخت، وفــى صــراعات لا تنتهى بين أب وأم، لا بل أن هذه الصراعات قد انتهت ولكن فى طريق غير الذى يتمناه كل ابن وأبنــة، وتنتقــل ســعاد لتعيش مع زوج أمها الجديد الذى كان أكثر حنانــاً معهــا.. ولكنها لم تكن لتنسى أو تنفصل تماماً عن مشــاهد العنــف والمذلة التى كانت تسيطر على جو أسرتها الأولى..

وسط هذا الجو نشأت سعاد حسنى وتشكلت الأطــر العامة لشخصيتها، وهو ما لم تنجح نشوة الشهرة ولا حيــاة الأضواء أن تمحى من عقلها بؤس الطفولة وسنوات المراهقة الأولى التى امتلأت بالرفض والرغبة فى الخلاص.

وإذا كان ضرورياً أن نصدق حكاية المشهد الأخيــر فى حياتها ونسلم بأنها قد انتحرت فلابد وأن نبحث عن جذور انتحارها بدءاً من سنوات الطفولــة ومشــاهد العنــف بــين الأبوين.

و.. كبرت سعاد..

ونجحت..

ولمعت..

وكسبت المال وحب الناس..

ولكنها أيضاً كانت تتعذب..

فمع انطلاق الفراشة الملونة تحوم حول الأضواء، بل إن الأضواء ذاتها كانت هى التى تسعى إليها.. أو تتحاز إليها.. ولذلك كان بديهياً أن تلفت نظر صائدى الفراشات الملونة الذين كان جلّ همّهم فى تلك الفترة هو اقتناص الفراشات ووضع أجنحتها تحت المقصلة.

وبوضوح أكثر..

سواء كانت صحيحة تلك الرواية التى تقول أن جهاز المخابرات بقيادة صلاح نصر قد استطاع أن يصل إليها وأن يضعها (مجبرة) فى خانة (المندوبات) أم لا، إلا أنه فى الغالب فإن سعاد قد تعرضت لكثير من الضغوط وكثير من المضايقات – كغيرها – ومرة أخرى وجدت سعاد حسنى نفسها تبحث عن.. الخلاص.

وإذا كانت قد نجحت هى من التخلص من هذه المحنة، فإنها وجدت نفسها تقع فى غرام العندليب – عبد

الحليم حافظ – ولسبب أو لآخر لم تستطع الزواج منه، أو إذا كان قد وقع هذا الزواج على حد ترويج عدد من المقربين من النجمين، فإنه من المؤكد أن هذا الزواج لم يستمر ولم يثمر عن لحظات سعيدة لكليهما، وبالطبع فإن هذا قد سبب عذاباً آخر للسندريللا.

نعم.. هى تزوجت بعد ذلك عدة مرات، ولكن الصدفة الأولى تبقى هى الأشد والأبقى تأثيراً.

أما النصف الثانى من حياة السندريللا، فقد أصبح هو النصف الأسوأ من عمرها، عندما ذاقت طعم الفشل فى كل شئ.. فى الحب وفى الزواج وفى النجومية أيضاً، مع فشل صادف أحد أفلامها "الدرجة الثالثة" – هكذا اسم الفيلم – وعندما زارها المرض ولم يخرج من جسدها ولا من عظامها.. وعندما انحسرت الأضواء.. وتضخم الجسد – الذى كان رشيقاً رشاقة الغزلان.. ثم عندما ذاقت الغربة وجربت الوحدة، وتجرعت الاكتئاب..

(ومرة أخرى راحت تبحث عن الخلاص.

لذلك لم تعش سعاد حسنى سوى لحظات قليلة من عمرها..

ورغم ذلك فإننا نشعر بعظيم الامتنان، وندرك تماماً جمال وروعة هذه اللحظات التى عاشتها كفنانة مبدعة.

ونهتف جميعاً: ما أروعك يا سعاد.. يا سندريلا.. يا زوزو.

ولكنها أبداً لم تكن محظوظة.

* * *

وعندى وجهة نظر – وإن كنت لا أملك دليلاً علمياً عليها بل أن كل ما أملكه فى هذا السياق هو بضعة تجارب ومشاهدات متأملة – وملخص وجهة النظر هذه أن الإنسان – وليس كل إنسان – فى بعض الحالات يستشعر بشكل أو بآخر مستقبله، وليس أدل على ذلك من أن بعضنا أحياناً يشعر بوجع غير مفهوم، أو بحزن غير مبرر، ثم يعلن لبعض المقربين منه أن "شيئاً ما" سيحدث.. ثم يحدث.. بالفعل!

وفى السياق نكتشف أن نهايات "الحزانى" هى فى الغالب نهايات حزينة أيضاً، فهل الحزن هو "السبب" فى تلك النهايات، أم أن شيئاً ما أخبر هذا الشخص بمستقبله فساهم فى رسم ملامح الصورة الحزينة على وجهه.. بل وروحه؟!

والمتأمل المدقق لعلامات "الساعات الأخيرة" فى حياة المشاهير ممن نعلم حياتهم بكثير من تفاصيلها، يكتشف أن معظم أدركوا نهاياتهم قبل وقوعها، بل وأن بعضهم تحسب لذلك!

ولأنها مجرد نظرية فلسفية تحتاج إلى مناقشات وإلى ملاحظات أدق وأعمق، فإننا سنحاول فقط ملاحظتها على حالة النجمة الساطعة دوماً.. سعاد حسنى..

فهل كان هناك ربطاً ما بين اكتئاب سعاد حسنى المفاجئ وهى فى فترة لا تقل خصوبة ولا مقدرة على العطاء، وبين كونها تعيش الشهور الأخيرة فى حياة أعظم شخصية احتوتها وصادقتها وعلمتها، وشملتها بالرعاية والدفء والشعور بالحب والأمان.. وهى شخصية العملاق متعدد المواهب صلاح جاهين؟

هل خافت سعاد أن تفقد صلاح جاهين ففقدته بالفعل؟

أم أن "راداراً" خفياً أطلعها بقرب النبأ المشئوم، فتحصنت له بجرعة واقية من الحزن والاكتئاب؟!

هل بداخلنا حقا هذا "الجهاز" الكاشف للمستقبل؟

أو على الأحرى.. هل هو متوافر داخل "بعضنا"؟

وإذا استمرينا فى هذا التفسير، فلعله ينطبق أولاً على "صلاح جاهين نفسه، الذى دخل فى قوقعة الاكتئاب بكامل إرادته، ورغم ما يتردد عن وجود أسباب قوية أدت به إلى هذه النتيجة المحزنة، إلا أنه قد يكون خوف صلاح جاهين من هذه النهاية هو الذى قاده إليها سريعاً!

وقياساً: هل كانت تشعر السندريللا بدنو نهايتها المفجعة على هذا النحو الذى صدم الملايين من عشاقها؟

هل كانت تعرف مبكراً أنها ستلقى بنفسها – أو سيُلقى بها – ليهوى النجم الساطع، ويبقى فقط ضوءه المشع، تماماً كما يخدعنا ضوء آلاف – أو ملايين – النجوم الساطعة فى كل ليلة، ثم يصدمنا علماء الفلك بأنها رحلت..

هل كانت تعرف السندريللا مبكراً أنها – كنجوم أخرى – سوف تحترق على هذا النحو المفجع، ولن يبقى إلى ضوءها نراه ولا نستطيع أن نلمسه؟!

هل اكتأبت لأنها كانت تشعر بالخطر..؟ أم لأنها كانت على يقين من النهاية؟

ورغم أننا لسنا من المذعورين القائلين بأن وراء كل ما لا نستطيع تفسيره – فوراً – مؤامرة ما، ونؤمن بأن

نظرية المؤامرة غالباً ما تكشف عن فكرة مهزوز إذا لم تكن تستند على الدليل القوى، رغم ذلك فإننا نؤمن أيضاً بأن كل شئ يجب أن يناقش.. يحلل.. يوضع تحت المجهر.. أو تحت شمس المعرفة.

كانت النهاية المفجعة للسندريلا سعاد حسنى أكبر من احتمال عشاقها..

وكما يحدث لكل الشخصيات الاستثنائية فى التاريخ راح البعض ينسج حولها الحكايات والأساطير..

قالوا إنها سقطت بعد أن فقدت توازنها، ثم وجدوها حكاية عادية لا تليق بشخصية غير عادية فعدّلوا فى الخبر: بل انتحرت سعاد.. أيضاً لم تكن هذه النهاية ترض البعض فقالوا: بل قام الموساد – جهاز المخابرات الإسرائيلى – بتصفيتها!

أما الأطراف والأغرب والأكثر إثارة فهو ما قاله شاعر عامية مرموق: لقد قتلها مسئول مصرى!!

تعالوا نقرأ الحكاية..

ولكى نتعرف أكثر على ما حدث لسعاد حسنى تعالوا نقرأ هذه المشاهد من حياتها من البداية حتى اللحظات الأخيرة..

فعن الجو الذى نشأت فيه السندريلا يأتى هذا المشهد الذى يصفه محمود عوض: قال: (فى سنوات سعاد كان الزمن بخيلاً وسخياً، حليفاً وعدواً، دافعاً لها وسيفاً عليها. هى من أسرة رقيقة الحال ضمت (١٧) أخاً وأختاً. الأب خطاط موهوب لكنه مزواج. البنت الصغيرة اللهلوية تعيش فى خلافات دائمة بين أبوين مطلقين.. فى السياق أصبحت شقيقة كبرى لها من الأب – هى نجاة – مطربة فى الإذاعة.. وشاركت سعاد فى صغرها فى برامج "بابا شارو" للأطفال.

أما التحول الكبير فى حياتها جاء من مكتشفها عبد الرحمن الخميسى، وهو رجل متعدد المواهب: فنان وكاتب وموسيقى وشاعر ومترجم، وصاحب عين مدربة على التقاط المواهب وبنفس هذه العين رأى الخميس فى سعاد "نعيمة" الشخصية الفولكلورية المعروفة باسم "حسن ونعيمة" التى أعاد الخميسى صياغتها لتصلح للسينما بعد أن قدمتها كريمة مختار للإذاعة عن نص عبد الرحمن الخميسى أيضاً.

قفزة أخرى:

وفى مكتب عبد الوهاب الذى قرر التصدى لإنتاج أول أفلام سعاد حسنى "حسن ونعيمة" ومن إخراج بركات – مخرج أفلام فاتن حمامة – وقفت السندريلا الجديدة بكل جرأة تقول لعبد الوهاب: والنبى يا أستاذ.. أنا نفسى أغنى كمان فى الدور ده!

وبكل تقل عبد الوهاب سألها: إننى ليكى فى الغناء؟

(قالت: أمال إيه يا أستاذ.... وانطلقت تغنى "كل ده كان ليه".

ولكن بحرص عبد الوهاب المعروف: قال: نأجل موضوع الغناء شوية.. خبطتين فى الرأس توجع.

القفزة الكبرى فى حياة السندريلا كان عنوانها "زوزو" وزوزو اسم أشهر شخصية صنعها صلاح جاهين وحققت القفزة الكبرى فى تاريخ وحياة السندريلا، لدرجة أنها كانت تسجل على تليفونها المحمول جملة تقول فيها "أنا زوزو النوزو كوانوزو" فقد كانت تعتز بنجاحها الساحق فى هذا الدور ونحن الآن فى جلسة على النيل جمعت بين سعاد حسنى وصلاح جاهين ليتكلم معها عن فكرة هذا الفيلم الذى

يأتى فى أعقاب الجراحة الشاملة للحياة المصرية عقب نكسة ١٩٦٧، فكان هذا الفيلم الذى ابتعد عن السياسة ووجع القلب واختار سرد قصة حب بين فتاة بسيطة وشقية: ترقص وتغنى وتمثل و.. تحب!

ووصف صلاح جاهين وبحق أنه المكتشف الثانى لسعاد حسنى أو "السندريلا" وعندما رأى كمال الطويل سعاد حسنى تحمس لها ووضع لها لحن "يا واد يا تقيل" اللحن الأساسى للفيلم الذى يعبر عن مضمونه والذى أصبح قنبلة الموسم!

وظل دور "زوزو" هو اللمسة السحرية فى علاقة سعاد حسنى مع جمهورها وظلت سعاد تستعيد كثيراً من ذكرياتها مع "زوزو" حتى بعد أن قدمت العديد من الأفلام بعضها نجح جداً وبعضها "عادى" وحتى فيلمها الذى يعد تنويعات على تركيبة "زوزو" وأقصد به "أميرة حبى أنا" الذى وضع ألحانه كمال الطويل (كاملة) ورغم نجاح "الدنيا ربيع والجو بديع" إلا أن زوزو كان له مذاقاً آخر فى داخلها.. وعرفت السندريلا أو "زوزو" حرفية الاختفاء عن عيون الناس.. أنها لا تقوى على مواجهتهم وهم ينادونخها

بـ"زوزو".. لا تعرف إن كانت هى لا تـزال زوزو أم لا، حدث لها هذا عندما تزامن ابتعادها عـن زوزو فتـرة مـن الزمن ومع زيارة ضيف ثقيل هو: المرض.

وهنا يقول محمود عوض: "مع الزمن استجد خصـم آخر: المرض، فمع إصابة سعاد حسنى بشرخ فـى العمـود الفقرى وعلاج خاطئ فى البداية، أصبحت آلامها لا تطـاق، بعدها أصبحت نفس الأدوية التى تسكن آلامهـا هـى التـى تسبب لها زيادة الوزن، وهو ما يؤدى بدوره إلى ابتعادة عن حالة اللياقة البدنية التى تريدها لنفسها، وكلما نظرت سـعاد حسنى فى مرآتها تبحث عن "زوزو" تجدها أبعد.. وأبعـد.. الحلم يهرب وفى فراغه يجئ شئ آخر: الاكتئاب.

ومن بين ٨٢ فيلماً سينمائياً بدأ التردد فى العلاقة ما بين سعاد حسنى والكاميرا والجمهـور اعتبـاراً مـن فـيلم "المتوحشة" وهـو الـذى انتجتـه سـعاد لنفسـها "١٩٧٧" واضطرت إلى تصوير نهايته مرتين مختلفتين، أمـا فيلمهـا الأخير هو "الراعى والنساء" الذى كان أكبرهم سعاد خـلال تصويره هو إخفاء متاعبها الصحية التى كانت قد استشـرت مع زيادة الآلام.

وبعدها بدأت سعاد رحلات العلاج ما بين باريس ولندن ومع زيادة وزنها أصبحت تصوم عن الصور الذى أصبح من بين ممنوعاتها. وحالة كهذه لم تكن تغرى أى جهاز مخابرات – الموساد أو غيره – من الاقتراب من صاحبتها!

لقد وصل الأمر فى غربة سعاد حسنى وانطوائها وانزوائها بعد عشر سنوات من الغياب المتقطع والسفر وإعادة السفر والمرض والصحة، أن تموت بالسقوط من شرفة بالطابق السادس من بناية ضخمة بها عدد من المصريين لم يدر أحد منهم بوجود سعاد بينهم.. سعاد التى كانت لا تفارقها الفلاشات ولا نظرات المتطفلين.. أصبحت سعاد وحيدة.. بإرادتها.. منكسرة – بغير إرادتها – تضع النظارة السوداء على عينيها لتتخفى عن أعين المحبين قبل المتطفلين.

وننتقل بسرعة إلى مشهد آخر اختلطت فيه الكوميديا بالمأساة، وبالرغم من سرعة انتقالنا إلى هذا المشهد. إلا أن ما بين المشهدين – السابق والحالى – مر على محبى سعاد كالدهر من فرط الحزن الهستيرى الذى أصاب كثير من

عشاقها، المشهد تدور أحداثه فى صـــالة الوصـــول بمطـــار القاهرة الدولى حيث عدد من الفنانين والجمهور فى انتظـــار جثمان سعاد.. الآن وصل الجثمان بمصاحبة صديقتها التـــى عاشت السندريلا فى شقتها ساعاتها الأخيرة.. المفاجأة فـــى المشهد هو تحول الأنظار من ذلك الصندوق الكئيـــب الـــذى يضم بين جنباته المُظلمة جثة سعاد وهى لا تزال ســـاخنة – إن صح التعبير – إلى خناقة.. نعم خناقة بين عدد من رجال الفن وحريمه وبين صديقة سعاد – واسمها نادية يســـرى – وتتناثر الاتهامات ما بين القتل والتدبير للقتل أو على الأقـــل إخفاء المعلومات.. ويتم بالفعل توجيه اتهام رسمى لأجهـــزة التحقيق بهذا المعنى!

ووصل الأمر إلى حد توجيه أصابع الاتهـــام تجـــاه جهاز المخابرات الإسرائيلية "الموساد" وهنا يعلـــق الكاتـــب محمود عوض قائلاً: "الغريب أن الذين أفتوا بذلك هم الـــذين يستهلون إعطاء الموساد ما لا تستحقه.. وهو كثير.. بينما هم فى نفس الوقت يغضون الطرف عما تقـــوم بـــه "الموســـاد" فعلاً.. وهو خطير..

ويمكن إضافة بعض "الأصوات" إلى الصورة فى هذا المشهد، فالبعض قال أن جيران سعاد – من العرب والخواجات – قد سمعوا أصواتاً من الخبط والرزع وأ، هذه الأصوات العالية استمرت لنحو خمس عشرة دقيقة وبعدها جرى سقوط أو إسقاط سعاد من الطابق السادس، وأضاف هؤلاء – وهم من أنصار نظرية التآمر على سعاد لحساب الموساد الإسرائيلى، أن لدى الشرطة البريطانية بلاغاً من هؤلاء السكان الجيران هو بحد ذاته أحد أدلة الاحتمالات الجنائية فى موت سعاد حسنى. ولم يذكرن أحدا اسماً واحداً لأولئك الجيران الشاكين، وبالتالى فالباب لا يزال مفتوحا لكى تصبح الشرطة بدورها متواطئة فى قتل سعاد حسنى.

والكاتب محمود عوض يرى أنه كان الأجدر بأقرباء السندريللا أن يتوجهوا بالشكر إلى تلك السيدة المصرية القادمة مع جثمان سعاد حسنى، بدلاً من توجيه الاتهام لها بإخفاء مجوهرات سعاد ومذكراتها المكتوبة.. وإن كان بصفته من المقربين يؤكد على أن سعاد لم تكن فى أى وقت من هواة المجوهرات.. ولا كانت أيضاً ضليعة مع الورق والقلم والكتابة والتأملات الفلسفية.. كما أن عشقها للحياة

وثقتها بقدرتها على الاستمرار فى العطاء الفنى يتنافس أصلاً مع فكرة تسجيل مذكرات، والحكاية كما يفسرها محمود عوض أن صديقة سعاد جاءت مع جثمانها فى الطائرة بكل متعلقاتها وحقائبها، ولأنها رفضت تسليم تلك الحقائب إلى بعض هؤلاء الأقارب دون بعضهم الآخر.. وقررت منذ البداية تسليم الحقائب إلى سلطات مطار القاهرة للتصرف فيها قانونياً، فقد أصبح التشهير بها هو الانتقام الفورى.

وهكذا تحولت الملهاة إلى مأساة سوداء، والملهاة جوهرها ركوب الموجة أو بلغة السينما سرقة الكاميرا.. سرقتها من الجمهور العريض الملتاع ومن سعاد حسنى نفسها جوهر المأساة، وهى التى عاشت طوال عمرها تسرق الكاميرا، أو على الأدق كانت الكاميرا تسرق سعاد من نفسها، فقد كانت الكاميرا تنحاز إلى سعاد على طول الخط..

وهكذا استطاع محمود عوض أن ينسف فكرة دور المخابرات في موت سعاد حسنى بل إنه استطاع بمهارته فى الرصد والتحليل ومن واقع قربه الشديد من السندريلا أن تسخر من الفكرة وأن يجعلها مجرد فكرة بلهاء هدفها سرقة الكاميرا فى مشهد "جنازة" حضرته آلاف من محبى سعاد

بالإضافة إلى عدسات الصحف وشبكات التليفزيون. وإن كان هناك صوت من أقارب السندريللا قال مؤخراً بأن هناك جريمة قتل وقعت بهدف السرقة، وبالتالى خفت صوت الاتهام بالعمل المخابراتى.

خارج الكادر

ومع خروج عشرات الآلاف من الشبان فى وداع سعاد حسنى بالقاهرة.. كان شلال الحب يحيط بها من جديد.. وكانت الرسالة واضحة بغير فذلكة ولا فلسفة. الرسالة هى: أن الفن ممتع.. ومبهج للجميع والمشتغلين بالفن فى قلب عشاقه.

لقد كانت الدموع فى عيون الجمهور صامتة. وناطقة، هى دموع عرفان وسعادة أعطتها لهم سعاد حسنى وكل من صنعوا مشوارها، وهى كذلك دموع حسرة على أن سعاد حسنى كانت تستطيع إعطاء المزيد.

وحتى كتابة هذه السطور لم يحسم اسكتلنديارد الموقف فى البلاغ المقدم من أسرة سعاد حسنى، ولم تقل حتى هذه اللحظة كلمتها الأخيرة، إلا أننا نميل إلى الرأى الذى يقول به الكاتب محمود عوض من عدم وجود دليل –

قوى ولا ضعيف – لتورط جهاز مخـــابرات معـــادى فـــى مصرع سعاد، وإن كانت مثل هذه العمليات المشبوهة ليست بعيدة عليه، ولكن مبدأ "المصلحة" هنا غير موجود من أصله.

ولكننا – فى السياق – نجد أنفسنا غيـــر مضـــطرين على الإطلاق لمناقشة وجهة نظر أطلقها الشاعر أحمد فـــؤاد نجم فى أحد برامج الفضائيات اللبنانية على الهواء مباشـــرة فى حلقة استثنائية من البرنامج كنت شخصياً أتابعها وأنا مـــا بين الضحك الهستيرى وبين عدم التصديق، بعد أن تحولـــت "الخيالات" إلى شئ يذاع ويناقش عبر الأثير وأمام عشـــرات الملايين من المشاهدين الطيبين، فقد كان ما يقوله العم "نجم" شئ أشبه بجلسات المصاطب التى غاب عنها المنطق!

وبقدر ما كانت تمتعنا سعاد حسنى بفنها الراقى أمام الكاميرات بقدر ما كانت تتألم خلف الكواليس..

كثيرون يعلمون نوبات الاكتئاب التى كانت تســـيطر على نجمتنا الراحلة، فتقف حائلاً بينهـــا وبـــين الاســـتمتاع بحياتها على النحو الذى تريده.

ليس هذا فقط.. بل كان يقضى علـــى كـــل رغبـــة بداخلها للعمل أو لرؤية الأصدقاء، أو ممارسة متعة الحيـــاة،

وهذا هو سر الظهور المفاجئ لسعاد حسنى بنفس قوة الاختفاء المفاجئ.

ورغم أن قليلين هم الذين يستطيعون أن يتوصلوا إلى سر اكتئاب سعاد حسنى، إلا أن الكثيرين تفهموا وتعاطفوا مع الظروف النفسية الصعبة التى مرت بها عقب حالة عدم التوفيق فى أحد أعمالها الفنية، ثم ازداد الأمر سوءاً بعد التغييرات الشكلية التى بدأت تقلقها وهى أشد ما كان يشغلها.. أعنى صورتها فى عيون عشاقها.. فهل كانت تكتم أسراراً بداخلها تعذبها وتتعذب معها؟

أم أن (المستقبل) كان هو هاجسها الأول والأخير؟

وفى محاولة لفهم أعماق سعاد حسنى النفسية دار بينى وبين الدكتور عادل صادق عالم النفس المعروف هذا الحوار، حول سطوع شمس نجوميتها وأفول نجمها، الحياة والرحيل.. الغربة والعزلة..

* قلت: هل كانت سعاد تتمتع بكاريزما القبول التى يتمتع بها بعض كبار المشاهير.. وما هى درجة خصوصية هذه الكاريزما فى حالة سعاد؟

- سعاد حسنى على وجـــه الخصـــوص كـــان لهـــا كاريزما خاصة، أى قبول جماهيرى واســـع وقـــدرة علـــى التأثير.. وهذا هو معنى الكاريزما.. القبول والتأثير.

والقبول قد يصل إلى درجة الحب، فيصبح المشهور زعيماً أو فناناً موضع حب لدى الجماهير، وحظى بذلك فقط جمال عبد الناصر كما حظيت بها أم كلثوم وعبد الحليم حافظ وسعاد حسنى.. فقط لا غير!

* تساءلت: ما سر هذه الكاريزما التى تجعلنا نحتفظ بصور سعاد حسنى - ومن ذكرت - فوق أســـطح مكاتبنـــا، ونزين بها جدران بيوتنا، ومن قبل كل ذلك ومن بعده نطبـــع صورها فى قلوبنا فنبدو كالمراهقين المتعلقين بنجومهم.. فما سر سعاد حسنى تحديداً؟

- يقول الدكتور عادل صادق وهو يتعمق فى السؤال ليمنحنا أدق إجابة ممكنة: سر كاريزما ســـعاد هـــو شـــحنة التفاؤل التى كانت تدفع بها إلى نفوس الناس، فهى مرحة إلى أقصى حد، وبسيطة أى قريبة من الجماهير العريضة، ولـــذا اكتسبت شعبية ضخمة، وكانـــت ترضـــى كـــل احتياجـــات

الجمهور من الفن: رقص وغناء وتمثيل. وكان أ:ثر ما يميز أداؤها "الطبيعية".

* قلت: هل هناك عوامل أخرى متعلقة بشخصيتها، ساهمت فى تشكيل نجومية سعاد حسنى؟

- سر نجوميتها أنها فذة.. موهبة بلا حدود. تكاد تكون أكثر فنانة فى عصرها وما قبل عصرها وما بعد عصرها.

ثانياً: هى تتمتع بوجه ليس جميلاً فحسب ولكنه ودود.

ثالثاً: ابتسامتها تجعلك تنشرح.. انشراح الصدر.

رابعاً: إنها فنانة شاملة.

* سألت: إنه أصبح من المألوف أن نقول عن فنان ما أو فنانة ما أنه نجوم الشباب، وذاك نجم جيل الآباء - مثل محمد عبد الوهاب - إلا أننا فى حالة نجمتنا سعاد حسنى نلاحظ إجماعاً من الشباب والكبار عليها، لدرجة أن حلقات تليفزيونية تعد العمل التليفزيونى الوحيد لها وبعنوان: "هى وهو" قد أضافت لها جمهوراً من الأطفال الصغار إلى جانب عملها السينمائى المهم "صغيرة على الحب" الذى أدت فيه

شخصية طفلة وقدمت فيه استعراضات مبهرة.. كيف اجتمع عليها مزاج الصغار والكبار؟

- يقول الدكتور عادل صادق: أجمع عليها الشباب والكبار لأن الشباب توحد معها، والكبار عاشوا من خلالها شبابهم.. كانت رمزاً للشباب والحياة والحب والمرح والتفاؤل والشقاوة.. كانت رمزاً للجمال.. رمزاً للحياة.. رمزاً للبساطة.

هكذا كانت عبقرية سعاد حسنى.

* هل ترى معنا جاذبية خاصة فى ابتسامة سعاد حسنى، لدرجة أنه من النادر أن نلمح صورة لها فى أرشيفها وهى لا تبتسم؟

- ارتبطت سعاد حسنى بالبهجة لأن هذه هى طبيعة شخصيتها، وهى شخصية "انبساطية".. هذا هو اسم شخصيتها فى الطب النفسى، وهى شخصية تتسم بالمرح الشديد، وسرعة البديهة، والحضور والتأثير على الجماعة ودفعهم إلى الابتسام، بل والضحك من القلب وتجمع الناس حولها، وهى لا تعيش إلا مع الناس وبالناس.. لا ترى إلا الجانب الجميل فى الحياة وتقنع الناس بالجمال والحب،

واكتشف فيها المخرجون هذه الموهبة فاستثمروها فى هــذه النوعية من الأدوار.

وهكذا فعل كمال الطويل، فألحانه لها شديدة المــرح والتفاؤل، وفى رأى كمال الطويل أن سعاد حسنى هى أعظم من غنت له.

* رغم أن شخصيتها مرحة وانبساطية كما يســميها علم النفس، ومع ذلك ينجح الاكتئاب اللعين فى اختراق عقلها ووجدانها إلى هذا الحد؟

- نعم وللأسف الشديد فإن أصحاب هذه الشخصــية معرضون للاكتئاب، فالأشخاص شديدى المرح قد يصــابون بالاكتئاب.. وهذا هو ما حدث مع سعاد حسنى.

* كان صلاح جاهين هو الصديق الصــدوق لهــا، وكان أستاذها والقارئ نيابة عنها، والمؤنس لوحدتها، والنافذة إلى أفكارها.. كيف ترى اجتماع هذا الثنائى المبــدع علــى موجة واحدة؟

- سعاد حسنى أكملت فى صلاح جــاهين الجانــب الذى يفتقده فى نفسه، صلاح جاهين كان شخصية اكتئابيــة، أما سعاد حسنى فشخصية انبساطية، والشخصــية الاكتئابيــة

تحتاج إلى شخصية انبساطية لترى بها الجانب المتفاعل من الحياة، ولهذا فإن صلاح جاهين ارتبط بها ارتباطاً شديداً، وهو ارتباط "الحاجة" الذى تحول إلى صداقة وحب.

واكتشفت سعاد حسنى فى صلاح جاهين الجانب الاكتئابى الذى كان قابعاً فى داخلها، واكتشف صلاح جاهين أن بداخلها اكتئاباً مثلما فى داخله اكتئاب..

ولذا كان صلاح جاهين أنيسها وجليسها لأن الوحيد الذى كان يفهمها.. الوحيد الذى رأى الاكتئاب بداخلها..

كل الناس لا تعرف عن سعاد حسنى إلا الجانب المبهج، أما صلاح جاهين فعرف كلا الوجهين، ولذا استراحت له سعاد حسنى، فنحن نستريح للأشخاص الذين يفهموننا، ولقد أصيبت سعاد حسنى بعد ذلك بنفس المرض الذى أصيب به صلاح جاهين وأودى بحياته مثلما أودى بحياتها..(؟).

* هل تركيبة سعاد حسنى، بسنوات الإنكسار بعد عقود من النجاح، يمكن أن تؤدى بها إلى الانتحار؟

- سعاد حسنى كانت مصابة بمرض الاكتئاب، وهو مرض دورى يأتى فى صورة نوبات قد تفصلها سنوات،

ويشعر المريض فى نوبة الاكتئاب بالحزن وفقدان الرغبة وفقدان الحماس فى كل شئ.. ينعزل.. ينطوى.. يصاب بالعجز.. يشعر بالذنب.. يؤنخب نفسه.. يضعف، فينكسر، ويفكر مرض الاكتئاب فى الانتحار حينما تصبح الحياة معذبة، حين تنسد كل الطرق.. حينما يصبح كل شئ شديد السواد، حين لا يجد مهرباً ولا مفراً، ويكون الانتحار هو الوسيلة الوحيدة للخلاص (هل هذا هو ما حدث مع سعاد؟!).

* هل اكتئاب (الفنان) يكون أشد فتكاً؟

- الفنان الحقيقى أكثر الناس عرضه للاكتئاب، ونظراً لطبيعة عمله فإن اكتئابه يكون أشد، وخاصة إذا أفلت شمسه وانحسرت عنه الأضواء (مرة أخرى هل هذا هو ما حدث مع سعاد؟!).

وأطلقت سؤالى الأخير فى اتجاه دكتور عادل صادق فقال:

نعم.. هذا هو ما حدث مع سعاد حسنى، وخاصة بعد أن زاد وزنها وخافت على صورتها فى عيون الناس.

* ما حجم الخسارة برحيل سعاد حسنى التى تمثل تجربة غاية فى الثراء على المستويين الفنى والإنسانى؟

- أكثر ما خسره التاريخ هو عدم كتابتها لمذاكراتها نظراً لثراء حياتها واتساعها، وعمق علاقاتها وخبراتها على كل المستويات.

ويبدو من اتجاه الريح فى هذا الحوار أنه يسير فى طريق يفترض منذ ناصيته انتحار سعاد حسنى بسبب اكتئابها وانعزالها وانكسارها، وهو افتراض لا يأتى على هوى من يقولون بمصرعها بفعل فاعل، لأن النهاية الثانية التى تربط النهاية بأعمال المخابرات والقوى الخارقة تتفق أكثر مع جو الأساطير الذى يجب الناس ومنهم – كثير من الفنانين أنفسهم – أن يربطوا بينه وبين الأسماء الاستثنائية فى التاريخ.



عملية

سمير الإسكندرانى

"ما كان منه إلا أن اصطادهم بعد أن ظنوا هم أنهم قد نجحوا فى اصطياده، وعاد مسرعاً إلى مصر دون أن يثير ريبتهم، وتوجه إلى مبنى المخابرات (العربية) - العامة - فى القاهرة وأطلعهم على الخطوط العامة ثم طلب مقابلة رئيس الدولة - جمال عبد الناصر - شخصياً ليطلعه على التفاصيل..

وكانت التفصيل أكثر من مثيرة..

إنها قصة المطرب سمير فؤاد الإسكندرانى،،

كانت قضية الجاسوسية التى فجرهـا نجـم الغنـاء المطرب سمير الإسكندرانى، ولعب فيها دور البطولـة فـى نهاية الستينات والتى كشفت من بين ما كشفت عـن وطنيـة هذا الشاب الذى كان يتفجر بالموهبة ويمتلئ بالطموح، ولكن طموحه وشبابه المندفع لم يكن أحدهما عاملاً مـن عوامـل توريطه فى الفخ الذى نصب له فى إحدى المـدن الإيطاليـة حيث كان يدرس الأدب الإيطالى، بـل إن وطنيـة سـمير الإسكندرانى كانت هى المحرض والمشجع له ليكشف عـن شبكة تجسس إسرائيلية كان قد زرعها الموسـاد فـى عـدة عواصم عالمية منها بالطبع القاهرة. وكان من بين أخطر ما كانت تهدف إليه الشبكة التى تعمل بتخطيط وإشراف مباشر من جهاز الموساد الإسـرائيلى، اغتيـال الـزعيم والرمـز المصرى جمال عبد الناصر ومعه المشير عبد الحكيم عامر باعتباره مسئولا عن جيش الدفاع المصرى وقتهـا.. وهـو الخبر الذى هز مصر كلها فى ذلك الوقت، ولم يدل بتفاصيله الفنان سمير الإسكندرانى إلا فى حضرة الزعيم جمال عبـد

الناصر، وفى المتواضعة التى كان يسكنها فى منشية البكرى بالقاهرة.

واستطاع سمير عن طريق خطة محكمة وضعها جهاز المخابرات المصرى، أن يغرر بعملاء الجاسوسية الإسرائيلية وأن يجذبهم من أوكارهم فى إيطاليا والنمسا وعدة عواصم أخرى ليقعوا فى قبضة المخابرات المصرية.

تظاهر سمير أمام عملاء الموساد الذين كلفوا بتجنيده أنه ساخط على أوضاع الشعب العربى وعلى قيادته، وساعده فى ذلك أسلوب حياته المتحرر كشاب يعشق الحياة، يسهر ويرقص ويمرح بعكس الشباب المنكسر، المنطوى، الخائف من المجهول فى بلاد الغربة..

وكانت النتيجة أن وثق به عملاء الموساد وضموه إلى منظماتهم وشبكاتهم المخربة التى كانت تسعى فى الأرض فساداً، وظنوا أنهم وجدوا فى "الإسكندرانى" ضالتهم كعميل يمكن أن يخون بلده وأهله وناسه ورموز هذا البلد، فما كان من سمير بعد أن أيقن خساسة أهدافهم وحقيقتها، وأنهم ناس يعملون على زعزعة استقرار بلده، وأنهم يطلبون

منه خيانة الوطن والمبادئ والقسم الذى يتلوه كل وطنى بقلبه تجاه وطنه منذ لحظة الوعى.

ما كان منه إلا أن اصطادهم بعد أن ظنوا هم أنهم قد نجحوا فى اصطياده، وعاد مسرعاً إلى مصر دون أن يثير ريبتهم، وتوجه إلى مبنى المخابرات (العربية) - العامة - فى القاهرة وأطلعهم على الخطوط العامة ثم طلب مقابلة رئيس الدولة - جمال عبد الناصر - شخصياً ليطلعه على التفاصيل..

وكانت التفاصيل أكثر من مثيرة..

إنها قصة سمير فؤاد الإسكندرانى، الذى طُلب منه أن يستمر فى لعبته وخداع الموساد حتى سقطت ست خلايا تعمل لحسابها وقدموا جميعاً إلى القضاء الذى حكم بإعدام بعضهم.. وكان سمير قد سافر إلى روما لدراسة اللغة الإيطالية، والطريف أن قرار السفر والدراسة كان بتأثير حبة لبنت الجيران واسمها "يولاندا" كانت هناك عاطفة مشتركة بينهما، وكثيرا ما اشتركا فى نزهات على كوبرى قصر النيل، وأراد أن يتعلم الإيطالية ليجيد التفاهم معها، خاصة أنه أنهى دراسته بتفوق فى كلية الفنون الجميلة (سمير فنان

تشكيلى رائع)، ومن أجل عيون يولاندا أحب سمير كل ما هو إيطالى، وظفر بمنحة لتعلم اللغة الإيطالية فى بيروجيا – إحدى المدن الإيطالية التى تبعد عن روما بمقدار مائتى كيلو متر تقريباً وهى مدينة جبلية سياحية ساحرة – وأتقن سمير اللغة الإيطالية، واستطاع أن يلتحق بمهنة مدرب سباحة للناشئين فهو أيضاً سباح ماهر، ومع ظهوره بقوة فى المجتمع الإيطالى شعر بنظرات حقد من جانب بعض الطلبة اليهود بالتحديد.

لمس ذلك عندما كان الطلبة العرب يحتفلون بعيد الثورة المصرية فى أحد قاعات جامعة بيروجيا، وإذا بالتيار الكهربائى ينقطع ليكتشفوا أن ذلك بفعل فاعل، وأن الفاعل هو أحد الطلبة الإسرائيليين.

إلى أن بدأت خطوات استمالته أو على الدقة تجنيده!

كان سمير يلعب البلياردو فى نادى الجامعة، ولاحظ رغم انهماكه فى اللعب أن شخصاً ما ينظر إليه فى اهتمام بالغ، وعندما يلتقى نظريهما فإن الشخص الآخر يبتسم، وبدأ التعارف:

– أنا سليم.. أدرس الذرة فى لندن.

- وأنا سمير أدريس اللغة الإيطالية فى بيروجيا.

أول ملاحظة لسمير على هذا الشاب أنه يتحدث اللغة العربية بطلاقة، ويحفظ الأمثال الشعبية المصرية عن ظهر قلب، وفى نفس الوقت ويجيد ثلاث لغات فضلاً عن العربية هى: الفرنسية والإنجليزية والإيطالية.

أما الملاحظة الثانية على هذا الشاب الغامض هى أنه يجيد الألعاب السحرية، ومعه سرب من الفتيات الرائعات الجمال وأنه ينفق عليهن ببذخ.

أما عن جنسيته فكانت غير واضحة فمرة يقول إنه مصرى، ومرة أخرى يقول إنه من أصل يونانى، وذات يوم طلبت فتاة من مرافقاته أن تراقص سمير، وكانت غاية فى الجمال، فقال لها سمير إنها تشبه "أنيتا إيكبرج" فقالت له: أنت ذكى لقد عرفت بسرعة الشبه بينى وبينها، واحبته الفتاة وصارحت "سليم" بذلك، فقال لسمير: لولا أنك صديقى لقتلتك فإن "بوسى" أثمن صيد وقع فى شباكى!

ولفت نظر سمير الإسكندرانى فى سليم أنه يحمل جواز سفر أمريكيا ولم يكن هذا بالشئ السهل وقتها.

وذات مرة لعب الخمر بعقل سليم ليقول لسمير: أنت لست كالمصريين يا سمير، فالمصريون "أقفال"، وبدأ العـداء واضحا فى لغة سليم.. وأضاف: قل لى ما هى أحلامك؟

فقال سمير: أريد أن أدرس الديكور السـينمائى فـى روما.

فدق المائدة التى أمامه بيده وقال: إذاً فسأقدمك لمـن يساعدك! وبعد عدة أيام دخل سليم ليقول: هيا الرجـل فـى انتظارك؟

– قال سمير مندهشاً: أى رجل؟

– إنه صديق تطوع ليجد لك عملاً.. هيا أسـرع لا تضيع الفرصة الذهبية. لمعت فى رأس سمير حيله تجعل هذا الشاب الغامض يكشف أكثر عن نفسه.. فقال له: يا سـليم.. نحن أصحاب – ألا تقول لى جنسيتك؟

– قال سليم: جنسيتى أمريكية وأستطيع أن أحصـل لك على مثلها!

وحاول سمير الإسكندرانى أن يكشف أكثر عن خبايا هذا الشاب الغامض، فبدأ يحكى له قصصاً مختلفـة ليوهمـه بأنه مطمئن له، فأ"لعه سليم على مقال فى مجلة أمريكية قائلاً

له: إنه هو كاتبه، وأنك – سمير – تستطيع أن تكتب عشرات المقالات عن مصر وتكسب ألوف الدولارات باعتبار أن ثمن المقال الواحد هو (٧٠٠) دولار، وطبعاً المقال لابد أن يتضمن معلومات، والمعلومات تحتاج إلى تحرى وإلى استطلاع، وفى روما نزل الإثنان فى فندق متواضع للغاية اسمه "بنسيون القمر" وفى غرفة قبيحة تركه لبعض الوقت. كانت كافية لأن يصلى سمير الإسكندرانى خلالها ركعتين لله الخالق الواحد الأحد ويدعو ربه:

– يا رب إنهم يريدونم شراً ببلدى ولست أدرى حدود هذا الشر، ولا أتبين إلى تلك اللحظة معالمه أو مداه.. ولكنى أدعوك يا خالقى.. يا رب انصرنى".

وفى الصباح نظر للمرآة.. وكان على وجهه شحوب، وحول الجفون هالة تشهد بالأرق، وتناول طعام الإفطار فى ترقب وقلق منتظراً ما سيسفر عنه قدوم "سليم" وجاء سليم ليأخذه فى جولة لرؤية معالم روما، وفى التاكسى الذى أقلهما فاجأه سليم بهذا السؤال المباشر:

– ما رأيك فى جمال عبد الناصر؟

وراوغ سمير فى الإجابة، ليمر هذا اليوم دون جديد، وفى اليوم التالى جاء سليم وهو يصطحب معه فتـــاتين مـــن أجمل بنات العالم، تشبهان مارلين مـــونرو، وجينـــا لولـــو بريجيدا ويتحدثان بإثارة وإغراء!!

ولكنه مرة أخرى لاحظ سمير أن محور الحديث عن مصر وسوريا! فمـــا علاقـــة فتـــاتين لعـــوبتين بالسياســـة، وبالسياسة العربية على وجه الخصوص؟ (وقد كان وقتها هو وقت الوحدة بين مصر وسوريا) ولم يكن سمير يعرف أيـــن يسكن سليم فى روما، وقد كان هذا لغزاً آخر، لدرجـــة أنـــه سأله ذات مرة: يا أخى أليس من حقى أن أعـــرف عنـــوان الرجل الذى ارتبطت به حياتى!

والمدهش أن هذه العبارة أعجبت سليم جداً ولكنه قال فى مراوغة:

– ابقى أنت فى البنسيون وأنا سأمر عليك كل صباح لنقضى طوال اليوم معا!

وأضاف: يا صديقى.. ماذا تريد أكثر من هذا.. أنت فى روما وسط أجمل الجميلات والوقت اللطيف.. أليس هـــذا يكفى؟!

ولكن سمير كان تواقاً لوقت أمتع من هــذا، الوقــت الذى يكشف فيه الستار عن نهاية هذه القصة المثيــرة التــى يعيش فصولها، ولا يدرى هل ينجح فى أن يقدم شيئاً لبلــده وهو فى هذه السن المبكرة من حياته، لينضــم إلــى قائمــة المجاهدين الوطنيين الذين يسعونه لتنقية بلدهم مــن هــؤلاء العابثين المخربين، أم أنهم سيكتشفون وطنيته مبكراً ومن ثم يسعون للتخلص منه.. إنها مغامرة لم يكن أ؛د يعلم نهايتهــا حتى تلك اللحظة.. ولكنه كان حذراً إلــى أقصــى درجــات الحذر، فقد كان يعود إلى غرفته فى ذلك البنسيون المتواضع ليستعيد كل كلمة بل كل حرف نطق به سليم، ليحلــل مــاذا يقصد، وهل يشك فيه، وزاد الأمر إثارة أن سمير كان يشعر بأن هناك من يراقبه داخل الفندق وخارجه، لدرجة أن ســليم كان يقتحم عليه الغرفة دون أن يطرق الباب وفى أوقات غير متوقعة، وعندما نجح سمير الإسكندرانى فــى الاختبــارات المتوالية جاءه صوت سليم عبر أســلاك التليفــون: ســمير اسمعنى ارتدى أحسن ما لديك وقابلنى بعد عشرة دقائق فــى محطة السكك الحديدية بروما.. وأضاف: الموعد مهم جــداً! ثم مزيد من الإثارة: اذهب إلى الميدان الأســبانى وأمســك

نسخة من مجلة "التايم".. ادخل القهوة اليونانية.. لوح بالمجلة في يدك.. عند ذلك سيتلقفك رجلنا الكبير!!!

وبدأت رحلة الغموض والمجهول!!

وتفاصيل كثيرة يتكتمها حتى الآن سمير الإسكندراني رغم مرور هذه الأعوام الطويلة حتى تحقق المفاجأة عند تحويلها إلى فيلم تليفزيوني ينتظر البدء في تنفيذه منذ عام ١٩٨٤!!!

المهم أن العملية دارت في إطار من الإثارة والغموض وعالم الجاسوسية المشحون بالقلق والتوتر وألعاب الدهاء المتبادلة، لنعرف أن العملية كان من بين أهدافها دس السم في طعام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، واغتيال المشير عبد الحكيم عامر، وعن طريق مسايرة سمير الإسكندراني لهذه الشبكة ثم الكشف عن جاسوس تم تجنيده في القاهرة هو "إبراهيم رشيد" كان مهمته هي رصد تحركات المشير عامر أولاً بأول وإرسالها برسائل الحبر السري إلى الموساد كانت تصل مباشرة إلى الكولونيل "هار كافي" مدير المخابرات الإسرائيلية وقتها، كما كشفت التحقيقات بعد أ، أوقع سمير بأفراد الشبكة واحداً بعد الآخر عن تجنيد عامل

يونانى يعمل فى محلات جروبى بالقاهرة واسمه "جورج ايستاماتيو" لتنفيذ عملية دس السم البطئ فى طعام الرئيس عبد الناصر ليقتله خلال ستة أشهر، بالإضافة إلى ذلك كانت هناك مساعى خسيسة للقيام بعمليات تخريب داخل قاعدة الغواصات المصرية ومحطات الرادار عن طريق جاسوس قبض عليه بعد كشف الشبكة واسم الجاسوس هو "رشاد رزق"، كما اكتشفت المخابرات العامة أن هذه الشبكة كانت تسعى لاغتيال طيارتين مصريين عن طريق جاسوس اسمه "محمد سامى نافع".

كما كشفت المعلومات عن وجود خطة لنشر الشائعات التى تحبط همم المصريين وتزعزع ثقتهم بقيادتهم، وكان يشرف على تنفيذ هذه الخطط المسمومة فى مصر مدير المخابرات الإسرائيلية "هار كافى" بنفسه بالإضافة إلى مكاتب الموساد فى روما وباريس وأثينا وامستردام وموينخ وزيورخ، وإنهم أنفقوا على ذلك ما يعادل مليون جنيه من ملايين ذلك الزمان.

وبعد أن نجح سمير الإسكندرانى ورفيقه مهندس البواخر المصرى عز الدين نعيمو فى كشف هذه المؤامرة

الخسيسة بخطة من أنجح ما يكون من جانب المخابرات العامة فى مصر، استقال مدير المخابرات الإسرائيلية بعد أن وجد البطولة المصرية، والفضيحة الإسرائيلية منشورة فى صحف إبريل من عام ١٩٦٠ فى الصحف المصرية متصدرة الصفحات الأولى والأنباء الأولى..

ويبدو أن إسرائيل لم تنس بطولة هذا المطرب النجم المصرى سمير الإسكندرانى، ويا للغرابة أن تعود بعد أكثر من ٢٦ عاماً وفى صيف ١٩٩٦ لتنشر الصحف الإسرائيلية خبراً تتناقله مع الأسف واحدة من الصحف المصرية، وفى الخبر تقول السطور أن سمير الإسكندرانى قد سافر وغنى أمام حائط المبكى (!) بل إنه مؤسس لجمعية صداقة مصرية إسرائيلية، وبالطبع فإن سمير نفى بشدة هذه الأخبار الكاذبة قائلاً بالحرف: "أنا بطل قومى وهناك مؤامرة لإجهاض بطولتى يشارك فيها الموساد الإسرائيلى"... (جريدة الأحرار ١٩٩٦/٩/٩).

ويا عم سمير لك أن تهنأ ببطولتك، فأنت نجم على مسرح الغناء، ونجم على مسرح العمل الوطنى.

* * *



مريم فخر الدين

هل هزمت صلاح نصر؟!

"فامسكت بالتليفون وطلبت طليقها محمود ذو الفقار لتستنجد به، وبشهامة ورجولة نقل محمود الأمر إلى شقيقه المخرج والضابط السابق عز الدين ذو الفقار، الذى استطاع أن يضع الأمر أمام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر شخصياً، ليختفى صلاح نصر من طريق مريم فخر الدين.. ولكن كان الاختفاء مجرد هدنة وانتظار لأول فرصة تلوح فى الأفق من جديد".

لعل أهم ما فى قصة الفنانة مريم فخر الــدين مــع صلاح نصر مؤسس ومدير جهاز المخابرات فى فترة شهدت كثير من التجاوزات، كما شهدت – والحق يقال – كثير مــن الإنجازات والانتصارات فى مباريات ســاخنة مــع جهــاز المخابرات الإسرائيلى (الموساد) حيث تم التصدى لكثير من الضربات التى كانت تسعى إسرائيل لتوجيهها إلــى الشــعب المصرى، وكلها مع الأسف ضربات تحت الحزام.

لعل أهم ما فى هذه القصة أنها تأتينا من مصــدرها الأصلى، فى شبه ذكريات تفصيلية من الفنانة مــريم فخــر الدين التى كانت طرفاً فى مغامرة عجيبة من نوعهــا، لــو صحت روايتها لكانت بذلك أكبر شاهد على نوعية التفكيــر التى أنت تسيطر على رجل المخابرات الأول صلاح نصــر على الأقل فيمــا يتعلــق بالعلاقــة مــع بعــض الفنانــات المشهورات. والقارئ سيندهش عظيم الإندهاش لهذا الأسلوب الذى كانت به عملية المطاردة، وكذلك الفترة الزمنية التــى استغرقتها، وكأن مصر فى ذلك الوقت لم يكــن بهــا مــن

القضايا ولا الأحداث ما يستحق أن يشغل فكر. أو يستحوذ على جهد هذا الرجل المهم، لدرجة أن مريم فخر الدين تذكر ضمن ما تذكر أن صلاح نصر دعا نفسه – أى فرض نفسه – على كأس من الويسكى فى بينها وبحضور زوجها الثانى فى أحد الأيام، ثم ما لبسي أن كانت الدعوة – على الأصح فرض الدعوة – تتكرر يوماً بعد يوم، ثم أصبحت بعد فترة قليلة كل ليلة!

تصوروا.. الرجل الأول فى مخابرات مصر يسهر ليشرب، أو يشرب ليسهر فى بيت فنانة كل ليلة!

هذه هى إحدى الملاحظات فى هذه القصة، أما الملاحظة الثانية ولعلها تفرض نفسها على القارئ، فهى أن صلاح نصر فى مطاردته لهذه الفنانة التى استمرت لسنوات استغل فيها كل إمكانات المخابرات من مندوبين وتنصت وتسجيلات وخلافه، لم نجده يطلب من الفنانة مريم فخر الدين القيام بعمل بطولى واحد يحقق أو يساعد على تحقيق السيادة الأمنية لمصر ولشعبها!

بل أننا نلاحظ أن كل ما يقوله صلاح نصر للفنانة الجميلة التى كانت تلهب مشاعر الشباب والمراهقين فى تلك

الفترة، بضعة كلمات حب وغرام – حسب روايتها هى – أو مجرد ملامسة يدها خلسة أثناء انشغال زوجها فى المطبخ(!).

هل كانت هذه الأحداث وما صاحبها من مغامرات مجرد مقدمة طويلة – وسخيفة لتجنيد هذه الفنانة العنيدة؟ أم هى مجرد قصة إعجاب عادية بين رجل وامرأة، وتصادف أن يكون الرجل هو صلاح نصر الرجل الأخطر فى مصر فى ذلك الوقت، والمرأة هى الفنانة مريم فخر الدين النجمة ذائعة الصيت الشقراء التى غنى لها العندليب الرائع عبد الحليم حافظ لعينيها: "شفتم عينيه حلوين قد إيه" ولشعرها: "والشعر الحرير.. على الخدود يهفهف ويرجع يطير". وبالتالى صادفت القصة هوى كل من سمع بها، وربما زاد عليها من خياله، ليشارك الخيال الجمعى فى صنع الأسطورة!

ولكن فى هذه المرة قطعت مريم فخر الدين الطريق أمام السائرين بها إلى عالم الأساطير، وقررت أن تحكى، ونحن مضطرون لأن نأخذ الكثير من روايتها، لأننا لا نملك مصادر أخرى، وحتى إن وجدت المصادر الأخرى – وهى

موجودة بالفعل بشكل أو بآخر – فإنها – لأسباب كثيرة – لا ترقى لأن نصدقها أو أن نرجح كفتها.. والآن إلى القصة الكاملة للمطاردة المثيرة بين صلاح نصر ومريم فخر الدين.. فقد بدأت الحكاية بعد طلاق الفنانة مريم فخر الدين من زوجها الأول المخرج محمود ذو الفقار – والد ابنتهما إيمان – بأقل من أسبوع واحد، وكانت الخلافات مشتعلة بين النجمة وزوجها السابق بسبب ما قيل عن استيلائه على كل الأموال التى كانت تحصل عليها كأجور عن بطولة أفلامها، وقد قالت الفنانة مريم فخر الدين أكثر من مرة وفى حوارات صحفية متفرقة أن زوجها المخرج الراحل محمود ذو الفقار كان يتعاقد نيابة عنها على أفلامها ويحصل هو على أجرها نيابة عنها ثم يعطيها بضعة قروش كل يوم من أيام التصوير كمصروف لشراء ساندويتش وزجاجة من المياه الغازية!

وقد روت إنها انتهزت فرصة زيادة أجرها إلى الضعف تقريباً مرة واحدة بعد أن لمع اسمها وأصبحت من نجمات الشباك، فكانت تعطى لزوجها ذو الفقار الأجر القديم الذى يعرفه، فى حين تحتفظ بباقى المبلغ فى مكان سرى فى الشقة حتى سافر الزوج لبضعة أيام، فأخرجت المبالغ التى

ادخرتها فكانت مبلغاً كبيراً اشترت منه شقة فى نفس العمارة التى تسكن فيها مع زوجها وقامت بتأثيثها، ثم انتقلت للإقامة بها هى وابنتها وعندما عاد الزوج وسأل عن زوجته أخبـــره البواب وحدثت مواجهة عنيفة أصرت على إثرها الفنانة مريم فخر الدين على الطلاق وقد كان...

وعندما وقع الطلاق كانت مريم فخر الدين تعيش من راتب شهرى كانت تعطيـــه لهـــا شـــركة الشـــرق للإنتـــاج السينمائى لصاحبها "جان خورى" نظير احتكار جهودها فيما لا يزيد عن أربعة أفلام فى العام، وعنـــدما ذهبـــت تقـــبض راتبها. فوجئت بالكاتبة "س. ق" وهى تلطم وتولـــول قائلـــة لمريم: كارثة.. لقد رشحتك لبطولة رابعة العدوية بينما بـــاع المخرج عباس كامل القصة لممثلة لبنانية..

فقالت مريم فخر الدين بلا مبالاة: معلهش.. خيرهـــا فى غيرها.

ولكن الكاتبة كانت تريد شيئا محددا فقد قالـــت لهـــا: أنت وحدك تستطيعين أن تخلصينى من هذه الورطة.. ممكن تكلمى أى مسئول كبير يحل المشكلة! ولكن مريم أكدت لهـــا أنها ليست على صلة مع أحد من الكبراء. فعـــادت الكاتبـــة

لتقول وتلح فى أنها ستمر عليها فى اليوم التالى ليذهبها معا إلى أحد الوزراء، وأمام إلحاحها وافقت مريم، وفى اليوم التالى أشارت لها السيادة على سيارة مرسيدس قائلة: هذه السيارة فيها الوزير!

ولكن مريم أصرت على أن يكون اللقاء فى سيارتها هى، وبالفعل جاء الرجل ليركب سيارة مريم، التى بادرته بقولها: حضرتك وزير الثقافة.. إحنا عندنا طلب من سيادتك...

وضحك الرجل لأنه ببساطة ليس وزير الثقافة التى – يا للدهشة – لا تعرفه فنانة بحجم مريم فخر الدين، فلم يكن الرجل سوى صلاح نصر! واعتقدت فى البداية أنه يمزح إلى أن أثبت لها عن طريق بطاقته الشخصية وكاد يغمى عليها من هول المفاجأة التى أزعجتها وأخافتها! واختلقت مريم الحجج لتتخلص من هذه المقابلة الثقيلة، فقد ادعت أنها على موعد للتصوير أمام فريد الأطرش، ولكن صلاح نصر حسب هذه الرواية لم يتركها إلا بعد أن صرح لها بإعجابه إلى درجة – الجنون – وأضاف أنه لم يستطع الاقتراب منها خلال السنوات الماضية بسبب أنها كانت

زوجة وأن زوجها كان صديقاً له – لصلاح نصر – وأمـــام سؤال شديد الأهمية وإجابة لا تقل أهمية عن السؤال، سألته: ولماذا دبرت اللقاء بهذا الشكل؟

قال رجل المخابرات الأول: لأنى أحب المغامرات!!

وتركها وانصرف، بينما هى كانت مشغولة بـــالتفكير فى كيفية التخلص من هذا الرجل؟! ومما يوضـــح خطـــورة الموقف أنها عندما عادت إلى منزلها وروت ما حدث لشقيقها الفنان يوسف فخر الدين قال جملة واحدة هى: لا حـــول ولا قوة إلا بالله.. وبعدها مباشرة جمع ملابسه وغـــادر المنـــزل فوراً!

إلى هذا الحد كان هذا الرجل مخيفـــاً.. إلـــى هـــذه الدرجة لم يكن أحد ليستطيع أن يقول له (لا)؟!

فلنقرأ ماذا ستسفر عنه تلك المطاردة المثيرة..

وعندما حكت مريم لوالدتها "الخواجاية" مـــا حـــدث. قالت لها الأم ما تخافيش يا مريم إن أكبر رجل لا يقوى على أضعف ست!! ولعل هذا ما بعث الطمأنينة – نسبياً – لـــدى مريم فخر الدين التى قالت لنفسها إن هذا الرجل رغم منصبه

الحساس لا يستطيع أن يأخذ منى إلا ما أريد أنا أن أمنحه، وهو لا يستطيع أن يلمسنى إلا بالحلال.. بالزواج الشرعى.

والحقيقة أن ثمة سؤالاً يطرح نفسه وهو لماذا ذهب تفكير السيدة مريم فخر الدين تجاه هذه النقطة تحديداً، أى تجاه "الرغبة" ولماذا حصرت مطالب صلاح نصر منها فى شئ وحيد هو: المتعة الجسدية؟! هل هى "السمعة" التى كانت سائدة فى ذلك الوقت عن الرجل ظلماً أو عدلاً؟!

لماذا لم يدر فى خلدها مثلاً أن صلاح نصر يريدها لمهمة مخابراتية يرى أنها جديرة بها وقادرة عليها..

من الواضح أن هذه النقطة تحديداً لم ترد على بالها على الإطلاق رغم أنها الأقرب للمنطق!!

ولكنها فى هذه اللحظة لم تتمكن من أن تطرد الخوف الذى امتلأ به قلبها، فأمسكت بالتليفون وطلبت طليقها محمود ذو الفقار لتستنجد به، وبشهامة ورجولة نقل محمود ذو الفقار الشكوى إلى شقيقه المخرج والضابط السابق عز الدين ذو الفقار الذى استطاع أن يضع الأمر أمام الزعيم الراحل جمال عبد الناصر شخصياً فى صباح اليوم التالى، وفعلاً جاءت النتيجة إيجابية للغاية، ليختفى صلاح نصر من طريق مريم

فخر الدين.. ولكن.. كان الاختفاء مجرد هدنة وانتظار لأول فرصة تلوح فى الأفق من جديد! ورغم هذا فإن مريم فخر الدين لم تطمئن تماماً، بل فرضت على نفسها عزلة وسجناً اختيارياً داخل شقتها مع وحيدتها، وفى مونولوج داخلى تمنت مريم لو كانت قد داعبت هذا الرجل واستجابت له حتى تتخلص من الكابوس الذى يجثم على صدرها (حسب ما جاء فى حوارها مع مجلة الموعد اللبنانية وجريدة الأحراء ومجلة كل شئ)، بل إنها اردفت كلمات غاية فى الأهمية تكشف عن الصراع الداخلى الذى يسيطر على تفكير بعض من مرون بهذه التجربة الصعبة، فقد قالت بالحرف:

"هذا الرجل يمكن أن يمنحنى كل شئ.. المال والجاه، والعمل السينمائى يقدمه لى على طبق من ذهب.. وصداقته تفتح أمامى الأبواب فى كل مكان"! وهذا هو الوتر الذى يضرب عليه رجل المخابرات، والذى يكون هو "النغمة" المحببة التى تطرب آذان من فى نفسها ضعف من الفنانات! وتستمر مريم فخر الدين فى مونولوجها الداخلى الذى يكشف الكثير عندما تقول: "هناك العديد من زميلاتك – زميلات مريم – فعلن أكثر من ذلك، واحدة منهن على علاقة بضابط

فى مكتب المشير وفتحت لها الأبواب، وأخرى لجـأت إلـى سلاح الإغراء فأصبح أحد الضباط تحت أمرها وبدأت ترشح لكل الأعمال الفنية وأنت الآن بدون عمل، ووجود ظهر قوى لك قد يحميك ويجعلك نجمة عالمية أيضاً.." (جريدة الأحرار ١٩٨٨/١٢/١٢) هل معنى هذا أن مريم فخر الـدين كانـت على وشك أن تضعف؟ هل كانت مؤهلة لذلك أم أنها لم تقـو على الضغوط النفسية الرهيبة التى تتعرض لها؟ ولكن حسب روايتها فإنها طردت هذه الأفكار بسرعة وقررت المواجهـة بشجاعة. فهل تستطيع مقاومة رئيس المخابرات العامة فـى وقت كان لا أحد يجرؤ فيه على مجرد ذكر اسمه؟

ولكن الذى حدث أن مريم قد اندفعت فى هذا الوقـت فى طريق آخر، عندما تعرفت على طبيـب الأنـف والأذن والحنجرة الدكتور عبد الحميد الطويل نجل واحد من باشوات مصر قبل الثورة وهو عبد الحميد الطويل، ونشـأت بينهمـا قصة حب سريعة، سرعان ما طلبها الدكتور للزواج فوافقت، ووجدت فيه حماية لها ولابنتها، ووافقت على طلبه بـاعتزال التمثيل لتكون سيدة منزل ومربية لابنتها، بل وسافرت معـه إلى لندن وألمانيا ليحصل هو من هنـاك علـى الـدكتوراة

ولتحصل هى على مزيد من الأمن والاستقرار ولتتجب منه ابنها محمد الطويل فهل كانت هذه الأعوام والأحداث كافية ليسدل الستار عن قصتها مع الرجل الخطير صلاح نصر؟

ومن باب الاحتياط قررت مريم فخر الدين أن تأخذ حذرها عندما حان موعد العودة إلى القاهرة، فقد قررت ألا تخرج من منزلها إلا للضرورة القصوى، ورغم ذلك جاءها ما توقعته تماماً عبر أسلاك التليفون، فقد جاءها صوت أجش يقول بلهجة فيها من التحدى والصلف: ألو.. أنا صديقك القديم صلاح نصر..

قالت مريم بصوت متهدج، خائف: أهلاً يا صلاح بيه..

فدخل فى الموضوع مباشرة: لماذا شكوتينى للقيادة السياسية (يقصد عبد الناصر) وحاولت الدفاع عن نفسها، ولكنه قصر المسافة معبراً عن حبه لها وولعه بها، إنه لن يتعرض لها الآن مادامت زوجة..

كلام جميل ولكن الأيام التالية كانت تحمل مزيد من المفاجآت..

ولأن مريم قررت أن تأخذ حـــذرها، فقـــد رأت أن تخبر زوجها بتفاصيل حكايتها مع صلاح نصر تحسباً لأيـــة مفاجآت، ولكن يبدو أن صلاح نصر كان يتحين الفرصـــة – بل يسعى لخلقها خلقاً – من أجل اللقاء مع مريم، وبالفعل فى أحد زيارتها بصحبة زوجها تلبية لأحد الـــدعوات، فوجئـــت بصلاح نصر بين المدعويين والحقيقة أنها لم تندهش كثيراً، ولم تأخذها المفاجأة، فقد عرفت عن الرجل ميله إلى أساليب المخابرات من صناعة الفرصة بشكل يدهشك، ونجح صلاح نصر فى أن يصطنع مناسبة للحديث والتعارف مع زوجهـــا الطبيب، بل ووعده بتسهيل إجراءات استيراد بعض الأجهزة الطبية التى كان يجد صعوبة فى استيرادها فى ذلك الوقـــت، ومن هنا نشأت علاقة منفعة ومصالح متبادلة، الدكتور يريـــد بعض الامتيازات المتعلقة بعمله، وصلاح نصر يريد فرصة للتقرب من صيده تحقيقاً لرغبة لم يفصح عن تفاصيلها حتى الآن. وزاد من خطورة الأمر ما تقرره مريم فخر الدين فى روايتها من أجل رجل المخابرات الأخطر قد اشـــتم رائحـــة خوف، بل وذعر من جانب زوجها سليل الباشـــوات ووزراء العهد البائد فى وقت كانت تشتد الحملة علـــيهم باعتبـــارهم

رمزاً للرجعية، وحيث كان الخوف من تآمرهم على الثـــورة والعهد الجديد، ومن ثم كان يسهل جداً على صلاح نصر أن يلفق تهمة العداء للنظام والتآمر عليه ومن ثم أن يحجز لـــه مكاناً وراء.. الشمس!! وأمام هذا الخوف كان غريباً – ولكنه يتسق مع منطق الرعب والذعر – أن يوافق الـــزوج – زوج مريم فخر الدين – على دعوة صلاح نصر لنفسه على كاس ويسكى (!) فى منزل الزوجية، بل وأن يطالب من زوجتـــه الفنانة أن تهتم بتحضير المزات!!

وللتعبير عن كرمه – أرسل صلاح نصر من ناحيته – قبل وصوله – صندوقين من أفخر وأفخم أنواع الويســـكى والشامبانيا والفودكا والكونياك، وهى أنواع لم تكن متـــوافرة بسهولة وقتها فى السوق المصرى لندرة استيرادها، ولكنـــه النفوذ!

والمثير أن الفنانة مريم فخر الدين تذكر أن صـــلاح نصر كان خلال هذه "القعدة" ينتهز فرصة دخـــول زوجهـــا الدكتور الطويل إلى المطبخ، حتى تمتد يده لـــتلامس يـــدها، وكانت تتخلص منه بسرعة بأن ترفع يدها تجاه وجهها! وبعد

انتهاء المقابلة روت مريم لزوجها ما وقع من صلاح نصر، فثار الزوج وصرخ، ولكنه كان عاجزاً عن مواجهة الأمر.

وبعد ذلك اكتشفت مريم أنها وزوجها مراقبين وكذلك تليفونها وتليفون عيادة الدكتور الطويل، ثم جاءها صوت صلاح نصر عبر الهاتف قائلاً بدون مقدمات: أنا عايز أقابلك على انفراد!

فقالت مستجمعة كل شجاعتها: شوف يا صلاح بيه.. لا أنت ولا رئيس أمريكا ولا أى مخلوق يقدر يجبرنى على حاجة أنا مش عايزة أعملها، والمقابلة التى تحلم بها لن تتم أبداً.

ولكن ذلك لم يكن كافياً لابتعاد رجل المخابرات الأخطر عن طريق هذه الفنانة بل أصبح "يعزم" نفسه (كل يوم) على كاس ويسكى فى بيتها وبحضور زوجها!! بل إنه سعى لتوطيد العلاقة أكثر مع مريم وزوجها، لتأخذ شكل العلاقات الأسرية، فقد كان يدعوها أحياناً وزوجها لزيارة أسرته، وأنها لاحظت أنه يعيش فى مستوى اجتماعى عادى ليس فيه بذخ، لدرجة أنهم كانوا يتناولون العشاء أرضاً وعلى قطعة من "المشمع"!

وفى الحقيقة أنا شخصياً لا أفهم كيف تحمل العلاقة بين صلاح نصر والفنانة مريم فخر الدين وزوجها شكل المطاردة ثم تكون هناك هذه العلاقة الحميمة بينهم لدرجة تلبية كل طرف لدعوات الطرف الآخر لتصبح دعوات "يومية" حسب رواية السيدة مريم فخر الدين، ولدرجة قبولها الدعوة لزيارة منزل وأسرة صلاح نصر بهذا القدر من الأمان.. هذه ملاحظة رأيت أن أرصدها وأسجلها ليفكر القارئ معى.

ولكن يبدو أن هذه كانت مجرد هدنة بين الطرفين، فقد تبعها محاولة "مخابراتية" عندما أرسل لها صلاح نصر مجموعة من شرائط الكاسيت مسجلاً عليها مكالمات غرامية بين زوجها الدكتور الطويل وبين واحدة يبدو من صوتها أنها امرأة لعوب!

وبخبرة فنانة تعمل بالسينما، اكتشفت وجود عمليات مونتاج وتلاعب فى هذه التسجيلات، لذلك فإنها لم تصدقها.

ويبدو أن صبر صلاح نصر قد نفد عند هذا الحد فانفجر قائلاً عبر مكالمة هاتفية معها:

- جوزك ده أنا ممكن أفعصه برجلى!

وردت بقوة حتى لا يشتم رائحة الخوف تسيطر عليها، فقالت له: لو فعلت ذلك فإن هذا هو قسمتى وقسمته!

ولاحظ زوج مريم الدكتور الطويل أن هناك عدد من النساء الجميلات واللعوب أصبحن يترددن على عيادته بكثرة، وأنهن لا يتورعن عن مغازلته! وطبعاً اللعبة كانت مكشوفة، فالمقصود هو إثبات خيانة الزوج حتى تكون مبرراً لهجر الزوجة له، ولكن مع فشل هذه المحاولات كان لابد من أسلوب التهديد المباشر فها هو يقول: أنا وراك والزمن طويل! ولكن المثير أنه رغم سخونة المطاردة فإن صلاح نصر كان لا يزال يدعو نفسه على كاس الويسكى فى منزل مريم وزوجها، وكأن شيئاً غير عادى لا يحدث! إلى أن قرر صلاح نصر القيام بعملية "بسيطة" ولكنها محكمة لجذب مريم فخر الدين إلى شباكه، وليفهمها رسالة مفادها أنه إذا كان هو صاحب العمليات الكبيرة في دنيا المخابرات، فإنه لن تعص عليه هذه الفنانة مهما كانت صلابتها ومهما كان عنادها..

بدأت "العمليات" عندما تم استدعاء الزوج الدكتور الطويل من إجازة صيف كان يقضيها الزوجين فى الإسكندرية، فى مهمة عمل عاجلة فى القاهرة، ليترك مريم

فخر الدين وحدها فى الفندق بالإسكندرية، وفى صباح اليوم التالى كانت مريم تتريض على شاطئ البحر عندما قابلتها صديقة من أيام الدراسة – طبعاً سنفهم بعد قليل أن المقابلة لم تكن صدفة – وأصرت على دعوتها فى المساء لتناول العشاء والدردشة فى منزل الصديقة بسموحة، وأمام إصرار الصديقة وافقت مريم بعد أن أخبرت زوجها هاتفياً ورحب بذلك، وفى الموعد المحدد كان هناك سائق أمام الفندق يقول أنه جاء من عند مدام "زيزى" – صديقتها – لتوصيلها إلى هناك، وما هى إلا دقائق حتى وجدت نفسها أمام فيللا فى منطقة هادئة، لتدخلها بعد ذلك لتجد نفسها وجهاً لوجه أمام صلاح نصر الذى ضحك ضحكة المنتصر قائلاً:

– هل علمتى الآن أننى أستطيع أن أحصل عليك فى الوقت الذى أريده! ولاحظت مريم فخر الدين أن صلاح نصر يحيط به خمسة رجال أشداء جداً ذوات تكوين جسمانى مخيف.

وكما تقول فى روايتها: حاولت أن تعمل ذكائها، وخشيت أول ما خشيت أن يأمر صلاح نصر رجاله باغتصابها أمامه، كنوع من الانتقام منها، وكانت فى ذلك

الوقت حامل فى شهرها الثالث، ولو حدث ذلك فإن مصيرها سيكون هو الموت المؤكد – حسب روايتها – والحقيقة أننا نعتقد أن الموت لا يأتى فى هذا التوقيت بسبب الحمل والتعذيب البدنى، بل إنه يأتى بسبب الخوف على الرشف والحياء الشديد من فقدانه بهذه الطريقة المهينة.

وهنا تقول مريم فخر الدين أنها حاولت بذكاء الأنثى أن تتخلص من هؤلاء الرجال الخمسة أولاً، فتكلمت بطريقة ناعمة مع صلاح نصر وطلبت منه انصراف هؤلاء الرجال ومنته بسهرة رائعة، وبالفعل أمر صلاح نصر رجاله بالانصراف، وهنا واصلت مريم فخر الدين لعبتها وطلبت منه أن تشرب "شامبانيا" بعد أن لاحظت عدم وجودها على مائدته، وفى أثناء ذهابه إلى المطبخ، قفزت من نافذة الفيللا – الدور الأرضى – وتعمدت أن تطلب النجدة بصوت عالى لكى تسبب الحرج لصلاح نصر ورجاله حتى أمر صلاح نصر بتوصيلها إلى الفندق الذى تقيم فيه بعد أن أصيبت بكسر فى قدمها وإجهاض فقدت بسببه جنينها.

ورأت مريم فخر الدين أن تبادر هى بتخويف صلاح نصر، ومع أول مكالمة هاتفية منه أخبرته أنها مازالت فى

حوزتها شرائط الكاسيت التى قامت أجهزة صلاح نصر بتسجيلها لزوجها فى عيادته وفى بيته، وفى هذا دليل دافع على انحراف جهاز المخابرات عن وظيفته ومهامه الأساسية، وأنها ستعمل على تقديم هذه الشرائط إلى الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً. ويبدو أن اللعبة حققت نتائجها، فأرسل صلاح نصر رجاله يفتشون داخل شقتها فلم يعثروا على شئ، فقالت له فى مكالمة تالية: إنها أرسلت هذه الشرائط إلى خارج مصر وإنهم سيقدمونها إلى الصحف هناك إذا ما حدث لها مكروهاً أو أخبرتهم هى بذلك.

وجاءها الصوت المهزوم: ماذا تريدين؟

- قالت: أريد السفر فوراً إلى بيروت ومعى ابنى والمربية الخاصة بى وأريد أذونات سفر لنا جميعاً، وأن أصطحب معى مصوغاتى.

- قال دون تفكير: مافيش مانع.. بكرة عندك كل شئ. ونفذ صلاح نصر ما وعد به، لتسافر مريم وابنها حمادة ومربيته إلى بيروت لتعيش هناك ولا تعود إلى فنها، حتى استمعت إلى هذا الخبر الذى نزل عليها كالصاعقة من

إذاعة القاهرة التى كانت حريصة على سماعها فى بيـــروت، وكان الخبر عقب نكسة ١٩٦٧ يقول:

"تم اعتقال رئيس المخابرات المصرية صلاح نصـــر وأحيل إلى محكمة الثورة بعد أن انحرف بجهاز المخـــابرات عن مهامه الأصلية".

وهنا فقط تأكدت مريم فخر الـــدين أن قصـــتها مـــع صلاح نصر قد انتهت للأبد.

* * *



السينما و.. الثورة

أفلام "مع"

أفلام "ضد"

"وعندما علم جمال عبد الناصر بتفاصيل الفيلم، وأن كمال يس سيقوم بنفس الدور الذى لعبه ناصر، حرص على الالتقاء به عدة مرات، وناقش معه كثير من التفاصيل كى يخرج الدور والفيلم فى شكل يوضح بعض ما كان يجرى فى كواليس الثورة المصرية."

نصف قرن من عمر الثورة المصرية. نصف قرن..

لو كانت السينما تصور خلالها ثلاثة مشاهد فقط كل عام لأصبح عندنا فيلماً عالمياً يؤرخ لثورة يوليو ٥٢ التى كانت بداية لنزاعات التحرر فى المنطقة العربية والقارة الإفريقية، بل إن كثير من حركات التحرر فى أماكن بعيدة من العالم قد استمدت عافيتها و"همتها" من الثورة المصرية!

صحيح أننا وجدنا "أثرا" لثورة يوليو فى أفلام مصرية عديدة، وقد يكون هذا الأثر ممثلاً فى "كشط" صورة الملك السابق فارق كما فى فيلم "غزل البنات" أو يكون على هيئة وضع صورة فى مكان بارز لرمز الثورة المصرية وثانى رؤسائها (جمال عبد الناصر).. وقد يكون جملة محشورة حشراً فى فيلم اجتماعى كأن تقول بطلة الفيلم وهى تشكو من المستبد "إحنا دلوقتى فى عهد جديد.. عهد الثورة" أو شيئاً من هذا القبيل..

ولكن ليس هذا ما يخلد الثورة، وليس هو ما كانت تطمح إليه (السلطة) من الفن السابع..

وما بين هذا وذاك كانت هنـــاك (علاقـــة) قائمـــة، وخيوط ممدودة بين الشد والجذب بين الفنان وسلطة الثـــورة المصرية.. ومن الطريف أن نجد فيلماً اجتماعياً مثـــل فـــيلم "الفتوة" وهو أحد روائع المخرج الراحل صلاح أبو ســـيف، يتناول بين ما يتناول جانباً من فساد عهد الملكية، وليس هذا بمستغرب فالحياة الاجتماعية هى جانب من نسيج السياســـة، ومرآة تنعكس عليها فساد أو نزاهة الحكيم، وفى الفيلم شـــلة المنتفعين والمتاجرين بالألقاب، بل وبفاكهة الخاصة الملكيـــة (بطيخ مولانا)، وهو تيار وجد وانتعش فى الفتـــرة التاليـــة للثورة، لعله من الصدف أيضاً أن الشركة المنتجة لهذا الفيلم كان اسمها "أفلام العهد الجديـــد" لصـــاحبها فريـــد شـــوقى، وبالطبع يمكن أن نستنتج أن العهد الجديد هنـــا هـــو عهـــد الثورة، حيث أن الشركة تكونت عام ١٩٥٣، بينما عـــرض الفتوة ١٩٥٧/٤/٢٩. وجدير بالذكر أن الفيلم بطولـــة فريـــد شوقى وتحية كاريوكا، زكى رستم وضيوف الشرف هـــدى سلطان ومحمود المليجى.

مصطفى كامل:

وكانت الثورة هى بارقة الأمل لفيلم "مصطفى كامل" الذى جرى العمل به قبل الثورة، ولكن لأن العهد الملكى لـم يكن يتحمس لتلك النوعية من الأفـلام التـى تثيـر الهمـة الوطنية، أو تلك التى تتناول حياة رموز وطنية غير الملـوك والحكام فلم يسمح بعرض الفيلم إلا بعد أن جـاءت الثـورة، وتم السماح بعرض الفيلم فى ١٩٥٢/١١/١٤ أى فى نفـس عام ولادة الثورة المصرية.

وهو بالمناسبة الفيلم الوحيـد لبطلـة أنـور أحمـد، وشاركته البطولة ماجدة والفنانون حسين ريـاض، محمـود المليجى وأمينة رزق عن قصة الأستاذ فتحى رضوان.

الله معنا:

ربما كان أول فيلم تناول الثورة كموضوع أساسـى وبشكل مباشر هو فيلم "الله معنا" الذى كتب قصـته إحسـان عبد القدوس، والذى بدأ أحداثه من قصة الأسلحة الفائدة (التى تضاربت الأقوال حولها فى الفترة الأخيرة) والتـى كشـف قصتها صحفياً إحسان مـن خـلال مجلـة روز اليوسـف، وأضاف لها تشكيل الضباط الأحرار، وعرض الفـيلم فـى الشهور الأولى من عام ١٩٥٥، وقام ببطولته السـيدة فـاتن

حمامة وعماد حمدى، محمود المليجى وشكرى سرحان، والإخراج لأحمد بدرخان.

رد قلبى:

ويعد فيلم "رد قلبى" من أكثر الأفلام السينمائية عذوبة التى تناولت الثورة، ومن أجملها، ففيه "رقة" الرومانسية، و"عمق" العلاقات الاجتماعية، ومخاطر العمل الوطنى فى أوقات الشدة، وسلاسة الأداء التمثيلى لنجومه وهخم باقى من ألمع نجوم السينما المصرية من العملاق حسين رياض إلى النجوم شكرى سرحان، مريم فخر الدين، صلاح ذو الفقار والفارس أحمد مظهر وكمال ياسين، وللأخير قصة سنحكيها بعد سطور قليلة تتعلق بدوره فى الفيلم.

والقصة والحوار كتبهما بعمق وعذوبة مدهشين الأديب يوسف السباعى، والقصة باختصار هى قصة رجل من الطبقة الدنيا استطاع أن يقتطع من قوت يومه ليحقق حلمه فى ولديه، وهو ما نجح فيه، ونأتى للخط الرومانسى فى الفيلم وهو المتمثل فى شخصية "على" شكرى سرحان الذى خفق قلبه وهو ابن خادم القصر (الجناينى) لابنة الباشا "وما أدراك ما الباشا فى سالف الدهر والزمان" وعندما

يكتشف ابن الباشا العلاقة بين أخته وابن الجناينى يقوم بطرد الجناينى ليس ابنه فقط، ويهدد ويتوعد فتتظاهر الجميلة إنجى بقبول الأمر الواقع، ولكنها تظل على العهد، ويتدخل شـقيق على بإنهاء العلاقة بينهما عن طريق الخديعة رحمة بشـقيقه من حب بلا أمل، ومع حريق القاهرة السابق للثورة، يكتشف "على" حب أكبر من الخديعة ويعرف أن حبيبته على العهـد باقية، وفى نفس الوقت يعرف "على" حب أكبـر مـن حبـه لإنجى، حب الوطن والمبادئ من خلال كمـال يـس الـذى يكشف له عن أنه أحد قيادات تشـكيل الضـباط الأحـرار، وينضم إليهم "على" وتتفجر الثورة، ويكلف بتنفيذ أحد أهداف الثورة فيرأس لجنة مصادرة أملاك كبار الإقطاعيين، ويذهب إلى قصر إنجى التى تتوهم أنه جاء للتشفى فيهـا، ولكنهـا سرعان ما تكشف عن تعاطفها مع مبادئ الثـورة، وتفـوز بقلب حبيبها ونفوز نحن المشاهدين بواحد من أرق الأفـلام الوطنية.

وعندما علم الرئيس الراحل جمـال عبـد الناصـر بتفاصيل الفيلم، وأن كمال يس سيقوم بنفس الدور الذى لعبه ناصر، حرص على الالتقاء به عدة مرات وناقش معه كثيـر

من التفاصيل كى يخرج الدور والفيلم فى شكل يوضح بعض ما كان يجرى فى كواليس الثورة المصرية.

وفى نفس العام (١٩٥٧) يقال أن الرئيس جمال عبد الناصر قد استدعى المخرج عز الدين ذو الفقار والفنان فريد شوقى، وناقش معهما ضرورة إنتاج فيلم عن مدينة بورسعيد الباسلة وتصديها للعدوان، وقد كان ذلك فى أعقاب العدوان الثلاثى على مصر، وبالفعل تم إنتاج الفيلم وعرض فى شهر يوليو من نفس العام، وقام ببطولته فريد شوقى، ليلى فوزى، شكرى سرحان، زهرة العلا، أمينة رزق، حسين رياض، أحمد مظهر ورشدى أباظة وكما هو واضح من فريق العمل أنه قد اجتمع لها الفيلم أكبر حشد من نجوم الصف الأول.

شئ من الخوف:

عرض فيلم شئ من الخوف فى يوم ١٩٦٩/٢/٣ والفيلم من إخراج حسين كمال عن قصة الأديب ثروت أباظة وحوار صبرى عزت والبطولة للنجوم محمود مرسى، شادية ويحيى شاهين.

والفيلم عرض قبل وفاة عبد الناصر بما يقترب من العشرين شهراً، وبعد شئ من الخوف بنحو ثمانية شهور

وتحديداً فى ١٩٦٩/١٠/١٣ عرض فيلم "ميرامار" للمخـــرج كمال الشيخ عن قصة نجيب محفـــوظ وســـيناريو وحـــوار ممدوح الليثى، وبطولة يوسف شعبان، شادية، يوسف وهبى، عماد حمدى والوجه الجديد وقتها عبد الرحمن على، ومـــن قبله عرض فيلم "اللص والكلاب" – قبل ذلك بسبع سنوات – وجميعها أفلام تدخل فى بند "السياسة" وجميعها أيضاً أفـــلام تنتقد النظام لا تهادنه برغم كل ما قيل عن الطبيعة القاســـية التى حكمت مرحلة ما بعد الثورة، إلا أن فيلمـــاً مـــن هـــذه الأفلام لم يُصادر، ولم يمنع عرضه، وقد يكون مفيداً هنا أن نحكى حكاية فيلم "شئ من الخوف" وهى القصة التى قيل أنها تنتقد عبد الناصر شخصياً لنوضح موقف السلطة (الـــرئيس) منها!

فالفيلم يتناول قصة عتريس، الطفل الذى نشأ ليجـــد جده قائماً على تربيته على القسوة، ويغرس فيه حب الانتقام، أو حتى الانتقام من الحب!

أو إن شئت كراهية الحب (!) وبالفعل يستطيع الجـــد بهذه التربية أن يغير من معالم شخصية الحفيد الـــذى يكبـــر

ليتولى تسيير أمور قريته، وينجح فى السيطرة عليها وعلى مقدرات أهلها بالكرباج، وبالحديد والنار يخضع له الجميع.

وفى مقابل عتريس نجد "فؤادة" الزهرة المتفتحة التى لا تعرف سوى الحب، والتى يجمعها علاقة حب متبادلة مع عتريس منذ مرحلة البراءة، ورغم ذلك فهى تقف ضده وتتحداه بعد أن لمست قسوته فى التعامل مع أهل قريتها، ولا يجد عتريس مفراً من الزواج منها رغماً عن إرادتها وإرادة والدها الذى لا يجد مفرا هو الآخر من تزوير شهادته ليعلن رضوخ فؤادة للزواج من عتريس. وعندما يشيع النبأ تبدأ الهمسات ثم ما تلبث أن تصبح صراخاً: "زواج عتريس من فؤادة باطل!" وصيحات وهتافات يتمنى معها عتريس لو أصابه الصمم حتى لا يسمعها بعد أن فشل فى قطع ألسنة كل الناس، وينتفض أحد المكلومين لقيادة أهل القرية الذين يحاصرون قصر عتريس ويصبون عليه نيران الغضب، لتحاصره بين جدران قصره.

قالوا: إن عتريس هو عبد الناصر، وأن فؤادة هى قلب مصر، وأن القرية هى كل مصر، وأن هناك تلميحاً لتغييب الدستور وتكميم الأفواه.

واحتدم الخلاف بين "مسامح" فى عرض الفيلم، وبين "رافض" لهذا العرض، ومُطالب بـأن يكفـى علـى الفـيلم "ماجور"، وشاركوا بذلك فى صنع دعاية ضخمة للفيلم.

ورأى البعض أن يرفع الأمر إلـى الـرئيس عبـد الناصر، فأرسلوا له "بكرات" الفـيلم، ليـتم عرضـه عليـه ومعرفة هل سيلاحظ أن هناك وجه شبه بينه وبين عتريس أم أن الأمر لا يعدو أن يكون وهماً فى خيال الرقباء. وشـاهد ناصر فيلم "شئ من الخوف" وعلى الفور اتصل بالسيد ثروت عكاشة قائلا له: "يا ثروت مشى الفيلم.. الفيلم بيـتكلم عـن عصابة، طيب لو احنا عصابة كانت الجماهير خلصت منـا من زمان" أو يبدو أن البعض "صعب عليه" أن يأتى القـرار من عبد الناصر مؤيداً لعرض الفيلم فقالوا إنه ذكاء من عبـد الناصر حتى لا يحقق شهرة لصناع الفيلم، أو حتى لا يتسرب إلى الخارج!

السادات شاهد على ميرامار:

أما حكاية فيلم ميرامار، فقد حدث أن كلف جمال عبد الناصر، السادات لمشاهدة الفيلم – وهو عن قصـة الأديـب الكبير نجيب محفوظ – بعد أن اشتد الهجـوم علـى الفـيلم

واعتبروه مهاجماً لتنظيم الاتحاد الاشتراكى "أحد تنظيمات ثورة يوليو" وباعتبار الفيلم ممثلاً للرجعية وأنه يسخر من الأوضاع، وبعد أن شاهد السادات الفيلم رفع تقريره إلى عبد الناصر بأن الفيلم ليس به ما يدعو لمنع عرضه!

أفلام ما بعد الرحيل:

وبعد رحيل عبد الناصر – تماماً كما فى حالة رحيل أى عهد أو نظام – ظهرت أفلام عديدة تنتقد بعنف، بعضها مجاملة للحكومة الجديدة، وبعضها لأنها حصلت على حريتها الكاملة، والبعض الآخر حاول أن يقدم التاريخ و"التأريخ" لسلبيات مرحلة، ومن الأفلام التى انتقدت بعنف فيلم "الكرنك" الذى أخرجه على بدرخان عام ١٩٧٥ وتقاسم بطولته سعاد حسنى، كمال الشناوى، ونور الشريف ومحمد صبحى، وفيه تعرية لما سمى بمراكز القوى.

وبعدها انهمر سيل الكتابات المعادية للعهد الناصرى، ولكن قليلين من انتقدوا الثورة فى السينما، ربما لأننا مازلنا نعيش فى عصر الثورة.

محاكمة عبد الناصر:

ومن الأفلام التى ظهرت وتحوى إسقاطات إدانة لفترة الحكم الناصرى، ذلك الفيلم الذى عاد به المخرج الكبير صلاح أبو سيف بعد غيبة طويلة عن العمل، وهو فيلم "البداية" الذى شارك فى كتابة الحوار له لينين الرملى عن قصة صلاح أبو سيف فى إطار كوميدى سياسى وفيه محاكمة بالتلميح لثورة يوليو ١٩٥٢، وكانت طريقة أبو سيف فى ذلك هى استخدام الإشارات والأسماء والرموز مروراً باستخدام موسيقى الأناشيد والأغانى الوطنية فى فترة الستينات مع تحوير لكلماتها.

والفيلم باختصار يدور حول طائرة تسقط فى الصحراء ليجد مجموعة من الركاب الناجون أنفسهم متناثرين على الرمال، هذه الشخصيات هى تقريباً ممثلة لفئات المجتمع، ففيها رجل الأعمال والفنان التشكيلى والراقصة والفلاح والطفل والصحفية والرياضى. وتلمع فى رأس نبيه بك فكرة السيطرة على واحة يعثرون عليها، بها الماء والثمار والجو الآمن، ويحاول نبيه الحصول على دور الزعيم، وهو ما ينجح فيه عن طريق لعبة الحظ، ويبدأ فى استغلال الجميع، الملاكم ليحميه من أعداءه. أعداء الوطن فى

رأيه – والصحفية لتمجيد أعماله فى صحيفة الحــائط التــى تصدرها، والفلاح فى جنى الثمار "التمر" والباقى يعمل مــن أجل إنشاء مصنع للخمور من فائض التمر الذى يدخره على حساب اقتطاع جزء من حصة من لا يرضى عنه.

هذه هى اللعبة التى تدور حولهــا حدوتــة "البدايــة" والتى تحمل تلميحات حول الحقبة الأولى من عمــر الثــورة المصرية من خلال مجموعة من الإشارات والرموز، وقيــل أن صلاح أبو سيف ينتقد شيئاً محدداً من خلال الفيلم، وهــو تأكيد الاتهام الموجه لعبد الناصر بأنه سمح لعناصر الثــورة المضادة التى ظلت تترقب الفرصــة للانقضــاض وتحقيــق مكاسبها الخاصة. والتى كانت – سواء وهــى تــدرى أو لا تدرى – توجه طعناتها إلى الثورة ومفجرها.

وهكذا كان للســينما دور فــى تمجيــد الســلطة أو محاكمتها!!



فرانك سيناترا:
الفن والمافيا

"وانكشفت علاقته بالمافيا بعد ذلك عندما اختطفت ابنه "فرانك" من أحد الفنادق، ولم يفرج عنه إلا بعد ثلاثة أيام، وبعد أن دفع سيناترا فدية قدرها (٢٤٠) ألف دولار، واتضح أنها كانت وسيلة للانتقام من سيناترا بواسطة المافيا بعد أن ساءت العلاقة بينهما"

فرانك سيناترا ١٩١٥ – ١٩٩٨:

هذا النجم كان حالة خاصة فى تاريخ الفن، وقد كان لطول عمره الفنى وحيويته أثراً على عمق واتساع رقعة أعماله وإنتاجه، من ملايين الاسطوانات التى تركها فى حوزة عشاقه، و ٦٠ فيلماً سينمائياً، وجولات فنية شملت معظم أنحاء العالم، وحلقات خاصة بالتليفزيون، ومئات الملايين من الدولارات، صرف بعضها على الجمعيات الخيرية، وقليلون هم الفنانون الذين استطاعوا أن يصلوا إلى ما وصل إليه سيناترا.

ونستطيع أن نقول: إن أسلوب سيناترا فى العمل كان فائقاً، وكان عطاؤه كنجم يؤكد أن موسيقاه وأغانيه سوف يظلان ذو صدى كبير طوال القرن العشرين، وربما ما تلاه من قرون ما بقيت فنون الصوت.

وقد كان، سيناترا فنانا وإنسانا قويا بغض النظر عن التناقضات الموجودة فى حياته، وكان متحمساً لفنه، مدركاً لطبيعة جمهوره، وعلى المستوى الإنسانى كان قوياً وسريع

الغضب إلى الدرجة التى ألقت بشكوك كثيرة من قبل الجمهور على سيناترا الإنسان.

ولد سيناترا فى ١٢ ديسمبر من عام ١٩١٥، وهو إيطالى / أمريكى، كان أبوه ملاكما – ولعل ذلك أورث الطفل سيناترا بعض صفات العنف والمقاتلة – وتحول الأب فيما بعد إلى رجل مطافى، أما الأم فقد كانت ساقية فى أحد المطاعم وكانت تحب أن تغنى للأسرة عند اجتماعها، وكان الجيران معجبون بصوتها، ولقد تأثر سيناترا كثيراً بأمه فى هذا الميل تجاه فن الغناء، وأكد عنده هذا الاتجاه تأثره خلال فترة المدرسة العليا بأحد مدرسيه، وردد سيناترا فى شجاعة الأغانى الجماعية على جيرانه، ومظهر فى أحد المسارح الأهلية الصغيرة كفنان هاو يغنى ويلقى النكات (!) ويمثل دور مدير مراسم وتشريفات، وهذا يكشف عن جرأة غير عادية يتمتع بها فرانك، وقد تم شطب اسمه بعد أدراجه بفصل دراسى واحد فى معهد هوكين ستيفن، ولكنه كان قد تعرف على نانسى بارباتو، والتى أصبحت فيما بعد أولى زوجاته وأم لأطفاله الثلاثة.

وفى عام ١٩٣٩ حدثت أولى المفاجآت فى حياتــه، فقد استمع العازف "ترمبيتر" هارى جيمس على واحدة مــن أغانى سيناترا فى محطـــة الراديـــو بنيويـــورك واســـتأجره كمطرب لفرقته، وقد جال سيناترا مع جيمس حتـــى نهايـــة العام، حيث قابل عازفون آخرون بقيادة تومى دروسى، اتفق الإثنان فى الحال، وترك سيناترا فريقه واتجه إلى دروســـى، وهو ما يعد أهم قرار أنجزه سيناترا، وقـــد لمـــس دروســـى سيطرة سيناترا على نفسه، وعبقرية موسيقاه التى لا تنضب، وطريقة آدائه مع النوتة الموسيقية.

ويقول الخبراءك إن سيناترا كانت له حنجرة قويـــة تستطيع أن تتناغم مع ١٦ نغمة موســـيقية دون أن تحصـــل على "شهيق" الأكثر من ذلك أن سيناترا كـــان يـــؤمن: بـــأن المغنى يجب عليه أن "يشخص" الأغنية، لا أن يلقيهـــا كمـــا هى.

وفى سبتمبر ١٩٤٢ قرر سيناترا أن يعمل منفـــرداً، وارتفع نجمه ولم يتقوقع فى هوليوود – بعد أن أصبح نجمـــاً سينمائياً – ولكنه تجول فى سلسلة من الحفلات الموسيقية،× كما قدم حفلات للراديو.

وقد أراد لنفسه فى مرحلة من مراحل حياته أن يكون هزلى مسل، ولكنه كان ذو صوت ساخر خيالى، له صوت صداح، عميق جعل الجمهور يصرخ من الانتشاء، أو بالعبارة المختصرة لشركة P. R عنه إنه "الصوت الذى أثار الملايين"، وقد حظى سيناترا بشهرة واسعة فى النصف الأول من حياته.

أسلوب جديد:

* وأثناء سنوات الحرب العالمية الثانية، والتى أعفى منها بسبب ثقب فى طبلة الأذن، جاءت له نانسى الزوجة بوجهها المشرق، بأكبر طفلة له، والتى استوحى منها سيناترا نغمات تعتبر من أخصب فترات حياته، فلحن من وحيها أربع أغنيات هى: عندما يذهب الحب، الأغنية هى أنت، الحمقى يهرعون، وأبدأ الموسيقى، ثم أضاف إليهم أغنيته "لقد حدث شرخ معك" من وحى علاقته بزوجته نانسى.

وفى ديسمبر من عام ١٩٤٦ اتخذ سيناترا قراره الصعب والخطير عندما منع المراهقين من حضور حفلاته للإذاعة، وكان ذلك تمهيداً لقراره بأن يجعل الأنغام بطيئة لتناسب الفئات العمرية الأخرى، بل وبدأ يغنى الكلمات

الزينة. ومشاركة منه للحالة العامة خلال الحرب العالميـــة الثانية، فقد غنى موشحات دينية وأغان شـــعبية للأمريكـــان، ووعظ بالتسامح والوحدة القومية، كما فى فيلمه القصـــير – عام ١٩٤٥ – "البيت الذى أحبه" والذى فاز بجائزة الأكاديمية الخاصة فى العام التالى، وبهذا العمل استطاع أ، يكسب حب العامة، كما اكتسب احترام الفنانين، فقال عنه مغنى البـــوب ديونى ورك أنه أعظم مغن عاش حتى الآن وأضاف أنـــه – سيناترا – يستطيع أن يغنى دليل التليفون ويجعلك تؤمن به.

زوجات وعصابات:

ولكن السيدة التى كادت أن تحطم سيناترا حقاً، هـــى الممثلة النجمة "أفا جاردنر"، التى شعر بضعف شديد أمامها، وكانت علاقته بها – قبل الزواج – سبباً مباشراً فى طلاقـــة من زوجته نانسى، إلى أن تزوج سيناترا من جاردنر عـــام ١٩٥١، لينفصل عنها بعد عامين فقط من الزواج، وإن كان الطلاق الرسمى وقع بينهما متأخراً فى عام ١٩٥٧، وكـــان فشله فى هذا الزواج سبباً فى التدمير الكامل له، فقـــد ظـــل سيناترا يتكلم عنها فى أحاديثه الخاصة بألم وبجرح عميقين، لدرجة أنهم وصفوه بأنه يشعر بالراحة إذا تغير الموضـــوع

بعيداً عنها، وهذا الرأى كتبته زوجة سيناترا الثالثة "ميافارو" فى سيرتها الذاتية بعنوان "من الذى سقط بعيداً".

وفى سياق الحديث عن رحلة سيناترا مع الفن والحياة، يجدر الحديث عن تسجيل بداية اللغط الذى ثار حول علاقاته المشبوهة مع جهات عديدة، ليس آخرها السلطة ولا أخطرها المافيا (!).

ففى فبراير ١٩٤٧، قامت عليه عاصفة عندما انطلق حديثاً يتعدى الشائعات، جعله يرحل مع عضو فى عصابة سالز لوكينو، وظلت التقارير الصحفية والاستجوابات الحكومية تبحث عنه وتلاحقانه، وتضعه مع أعضاء العصابات سيئة السمعة من بوجس إلى جيمى وفرانتينو، وكان شيئاً سيئاً أن تنشر تقارير صحفية للعامة تدين سيناترا كمتقلب ومتذمر، وأنه يقوم بمهاجمة الآخرين لفظياً وبدنياً، مشيرة إلى رحلته من مساعد نادل إلى ساق إلى احتلال لمكانه كأحد نجوم السينما.

وتصنفه لجنة الأنشطة الأمريكية كمتعاطف مع الشيوعية، والتى أجبرته بالحضور إلى واشنطن لإدانته، وتم

على إثر ذلك إقصاءه من الراديو ومقاطعة استوديوهات MGM له.

قابل سيناترا الأمر بصدمة شديدة حطمت معنوياته، فأغرق نفسه فى الخمر، وعانى من نزيف بالزور الذى أثر على صوته تأثيراً سلبياً بليغاً.

إلا أن سيناترا قد قابل الهجوم، بالالتفاف من حوله، وبمحاولة وضع درع له يقيه غدر الأزمات، فقد اتجه ناحية السياسة، وساند المرحشين الديموقراطيين، وحارب ضد التمييز العنصرى، فى الوقت نفسه الذى كان ينسجم فيه مع مؤيدى التمييز العنصرى، وإن كان فى المساء يحرص على صعود المسرح إلى جوار المغنيين السود.

إلى جانب هذا كان سيناترا متعدد العلاقات الغرامية، وشملت مغامراته عدد من الشهيرات منهن لانا تيرنر، مارلين ديتريش، ناتالى وود، لورنين باكال، كيتى كيلر، اليزابيث تايلور وفيكتوريا برنسيبال.

واستمرت جهود سيناترا السياسية، فقد ساعد روبرت كنيدى وكتب من أجله "الآمال العليا" كأغنية تحث المواطنين الأمريكان على انتخابه للرئاسة.

ولكن لم ينس سيناترا طموحه الفنى، فقد قدم عام ١٩٦١ مجموعة ألبومات باسمه مثل "سيناترا فى ضوء القمر" و"سيناترا والأوتار".

والمثير أن سيناترا كان يلقب بين أصدقائه أمثال رات باك، دين مارتن وسيرلى ماكلين، بلقب الرئيس.

وفى عام ١٩٦٩ وبعد تسعة أشهر من وفاة أبوه، استدعى للمحاكمة من قبل لجنة الجريمة المنظمة، ومثل أمام المحكمة العليا للولايات المتحدة التى أدانته.

ومع مطلعه السبعينات انضم إلى الحزب التحريرى، تاركاً حزب اليمين الذى كان من مؤيديه منذ بداية الستينات، ثم ظهر عام ١٩٧٢ كمساند للرئيس ريتشارد نيكسون فى إعادة حملته الانتخابية، وفى عام ١٩٧٣ أعاد ألبومه "كل العيون الزرقاء هى سوداء التى فازت بالاسطوانة البلاتينية بعد أن وزعت مليون نسخة، وأذاع التليفزيون العديد من الحفلات الموسيقية التى جذبت إليه مئات الملايين من جميع أنحاء العالم.

وكان له موعد جديد مع الزواج فى عام ١٩٧٦، عندما تزوج مرة أخرى من بربارا فاركس" الزوجة السابقة

لماركس براذر زيبو، وهو الزواج الذى استمر أ:ثـــر مـــن عقدين من الزمان حتى وفاة سيثناترا عام ١٩٩٨.

ولم يتوقف سيناترا حتى وهو فى هذا العمـــر عـــن صداقته مع السلطة، فها هو يصبح صديقاً مقرباً من الرئيس الأمريكى رونالد ريجان ويظهر ليـــراقص زوجتـــه نانســـى ريجان فى حفلات خاصة.

وفى عام ١٩٨٣ تشاجر سيناترا مع صـــديقه "ديـــن مارتن" فى مدينة اطلانتك، أثرت نفسياً فى هذا المغنى الذى لم يكن يوماً بهذا الضعف، فانغمس فى ألعاب القمار وابتعـــد عن المسرح لمدة ١٤ شهراً.

ثم نجده على جانب من الصورة، صورة الضـــعف والهوان والاستكانة فى خناقته مع دين، نجده على الجانـــب الآخر فى عنفه وعصبيته التى عرف بهما عنـــدما نشـــرت الواشنطن بوست مقالاً أغضبه، فقد هدد الجميع فى الجريـــدة بقوله: كل شخص منكم يعتبر نفسه ميتاً"!

ويبدو أن ذلك كان بداية الأزمة الحقيقية بينـــه بـــين الصحافية، التى انقضت عليه، بمقالات فيها هجوم عنيـــف، واتهامات قاتلة، وصدرت الكتب ومنها السيرة الذاتية له التى

نشرتها الصحفية كيتى كيلر وصفت فيها سيناترا بأنه شخص غير مخول للعمل ولكنه قد يكون بائعاً ممتازا، وفــى نفــس العام قام مخرج الرسوم المتحركة دونسبرى، وجارى زودو برسم سلاسل من الصور لسيناترا جنباً إلى جانب مع أعضاء العصابات!

وهنا انفجر بركان من الغضب حول هذا الفنان، بــل للأدق حول فرانك سيناترا، فالحديث فى هذه الفترة لم يكــن عن سيناترا (الفنان)، بل عن ســيناترا الإنســان.. الإنســان المشاغب، المغامر، المقامر والذى بدأ الربط بينه وبين أفراد العصابات والخارجين عن القانون..

تحول المجد الذى بناه بسواعد فتية، موهوبــة، إلــى (عار) يجب أن يتوارى سيناترا مع كل إشارة من إبهام يوجه إليه.

وما أصعب أن يتحول الحديث من إعجاب وانبهــار، إلى غمز ولمز وخزى وعار!

فما بالك وأن الهمس أصبح حديثاً بالصوت العــالى وفى قنوات إعلامية تتلقف القصة الخبرية المثيرة، والحدوتة

الفاضحة، والحقيقة العارية من أية محاولة للتجميل أو التلطيف.. ومن يملك أن يتقدم لتجميل حقيقة قبيحة؟!

ولكن جمال الفن فى رأية فى كونه غير قابل للتأثير بالشوائب الشخصية، فكم من فنان سكير، عربيد، أضحكنا ليس على سكره، ولكن بموهبته. وللك بقى "سيناترا" وغيره، ما بقيت أعمالهم وإبداعاتهم.

وأنا أكتب هذه السطور، وكلى تعاطفاً مع هذا النجم الذى شب على الفن وشاب على الفضيحة!

سأستمع إلى سيناترا، وسأكتم ما بقى من سيرته الذاتية.. بعضهم قال: إنه كان على علاقة صداقة بزعماء العصابات.

وبعضهم قال: إنه كان يقدم زعماء المافيا إلى شهيرات السينما والمجتمع!

كان هذا فى الوقت الذى كان فيه سيناترا على علاقة بأعلى قمة فى السلطة الأمريكية، الرئيس الأمريكى كنيدى، الذى ساعده سيناترا أثناء حملته الانتخابية وطاف معه الخمسين ولاية يغنى له ويمجده، وعندما فاز أقام له سيناترا حفلاً ضخماً فى عشية يوم تولية السلطة بيعت تذاكره بأسعار

تتراوح ما بين ١٠٠٠ و١٠,٠٠٠ دولار للتـــذكرة الواحـــدة، وساهم بالعائد الضخم لهذا الحفل فى تغطية نفقات جزء مـــن الحملة الانتخابية التى بلغت تكاليفها أكثر من مليـــون دولار بقيمة دولار عام ١٩٦٠.

وطبعاً كان منطقياً أن يستغل زعمـــاء ألمانيـــا اســـم سيناترا وقربه من السلطة فى تمريـــر بعـــض الصـــفقات، واستمر هذا الوضع حتى تسلم روبرت كيندى شقيق الرئيس مهام وزارة العدل وأعلن الحرب على العصابات المنظمـــة، فجاء اسم سناترا كواحد من الذين يساعدون هذه العصـــابات حتى ولو لم يكن متورطاً فى جرائم مباشرة، وجاءت الواقعة التى استند عليها روبرت كيندى فى تقريـــره إلـــى الـــرئيس الأمريكى، عندما جاءه تقرير من الشرطة يقـــول: إن أحـــد زعماء المافيا يطلب مقابلته بغرض إنهاء المراقبة عليه، وأنه ذكر اسم فرانكى (فرانك سيناترا) كوسيط لهذا الطلب!

وكانت تلك الواقعة كفيلة – خاصة فى حالـــة نظـــام يخشى على سمعته يراقبه الشعب – بإنهاء شهر العسل بـــين سيناترا وكيندى، لكنه لم ينس لروبرت كيندى – الشـــقيق –

أنه كان السبب وراء هذا الفرق، فعمل ضده فيما بعد في انتخابات عام ١٩٦٨.

وهنا تأتى عبارة قصيرة ولكن لها دلالتها الواضحة فى تحديد معالم – أو جزء مهم من هذه المعالم – شخصية سيناترا عندما تقول الأم: "إن ابنى مثلى لا ينسى ولا يغفر".

وفى تقرير (وثيقة) صادر بتاريخ ٣ أغسطس عام ١٩٦٢، جاء إن سيناترا كان على علاقة بعشر زعماء للمافيا فى الولايات المتحدة فى الفترة ما بين الخمسينات وأوائل الستينات، ففى عام ١٩٦١ قدم سيناترا مطلقة حسناء عمرها ٢٨ سنة إلى زعيم المافيا سام جيانكانا، كما قدم له بعد ذلك المغنية فيليس ماك جوير، وكان سيناترا قد ورط جون كيندى فى علاقة خطرة مع امرأة تدعى جوديث كامبل كانت على صلة مع سام جيانكانا.

وانكشفت علاقته بالمافيا بعد ذلك، تحديداً فى عام ١٩٦٣، عندما اختطف ابنه "فرانك" من أحد الفنادق، ولم يفرج عنه إلا بعد ثلاثة أيام وبعد أن دفع سيناترا فدية قدرها ٢٤٠ ألف دولار، واتضح أنها كانت وسيلة للانتقام من سيناترا بواسطة المافيا بعد أن ساءت العلاقة بينهما.

وهو الأمر الذى دعى روبرت كيندى إلـــى أحكـــام الرقابة عليه، ثم تحذير كيندى الرئيس من الصداقة معه.

ولطرافة الخبر وإثارته – خبر اختطاف ابن سيناترا ثم القبض عليه، تعالوا نتذكر كيف تناولته وكـــالات الأنبـــاء وقتها:

الخبر الأول: اختطاف ابن المغنى فرانك ســـيناترا / بوليس لايتين بأمريكا يطارد المجرمين فى الغابات...

وتفاصيل الخبر الذى جاء فى الصحف الصباحية يوم ١٠ ديسمبر عام ١٩٦٣ تقول: اختطف رجلان مسلحان ابن فرانك سيناترا المغنى المعروف، كـــان ســـيناترا الصـــغير وعمره ١٩ عاماً مع صديق له فى فندق على حدود ولايتـــى كاليفورنيا ونيفادا، قام رجال البوليس فى الولايتين بمطـــاردة المجرمين فى الغابات.. قال صديق سيناترا الصغير ويدعى "جون فوس" أنهما كانا فى حجرتهما حوالى التاســـعة مســـاء وطرق الباب شخص قال: إن معه طرداً لســـيناترا. وفتحنـــا الباب فدخل رجل يرتدى جاكت الانزلاق على الجليد وصوب نحوهما مسدسه وبعد أن أخذ كل ما كان معهما من نقود أمر سيناترا بالخروج معه وكان هناك رجل آخر ينتظر فى سيارة

وسرعان ما تحركت السيارة فاستطاع أن يلتقط ثلاثة أحرف من أرقامها وأسرع رجال البوليس بإغلاق جميــع الطــرق المحيطة بالمنطقة التى تسمى "ستيت لاين" وهى فى لايتــى كاليفورنيا فى شهر نوفمبر الماضى، أحدهما يدعى جوزيف سورس والآخر توماس كيتنج وهما من الشخصيات الخطرة إلى أقصى حد" والكلمات السبعة الأخيرة هى ما تعنينا، ولعله يميل بنا إلى ترجيح انتماء الخاطفين إلى عصابات المافيــا، ولكم أن تلاحظوا الأسلوب الذى تمت به عملية الاختطاف.

وبعد نشر هذا الخبر المثير بخمسة أيام جــاء نشــر الخبر التالى والأكثر إثــارة: (٦٣/١٢/١٥) "القــبض علــى العصابة الت ىخطفت ابن ســيناترا / البــوليس الأمريكــى يسترد الفدية من أفراد العصابة: نجح مكتب المباحث الجنائية الفدرالى فى العثور على خاطفى ابن المغنى المعروف فرانك سيناترا وفى استعادة معظم المبلغ الذى اســتولى الخــاطفون عليه وقدره حوالى ربع مليون دولار. قالت وكالات الأنبــاء أن هذا الحادث أكثر حوادث الاختطاف إثارة منــذ الحــرب العالمية الثانية. وظهر أن الخاطفون ثلاثة أحدهم كان زميلاً

فى المدرسة الثانوية لنانسى اخت سيناترا الصغير المخطوف، والثانى يعمل نقاشاً، والثالث ملاكم محترف".

المقابل:

ولكن هل كان يستفيد فرانك سيناترا من علاقته بعصابات المافيا مثلما استفاد – تأكيداً – من علاقته بالسلطة ممثلة فى الرئيس كيندى؟ لعل الإجابة تكمن فى هذه الواقعة..

سبق وأن ذكرنا أن سيناترا كان على علاقة قوية بأحد أبرز الوجوه فى عالم المافيا وهو الرجل ذو الوجه القبيح "سام جيا نكانا" الذى يعد خليفة آل كابوى فى شيكاغو، وأحد أبرز الرءوس فى "لاكوستا نوسترا" – نقابة الجريمة العالمية – وهذا الرجل – أيام العسل بينه وبين سيناترا – كان يفرض حمايته على فرانكى، حتى أن هناك واقعة شهيرة حدثت كان بطلها أحد نجوم الكوميديا فى ملاهى لاس فيجاس ويدعى "جاكى مانسون" وكان هذا الفنان يقدم فاصلاً من تقليد الفنانين فى صالات الملاهى، ومن بين النجوم المقلدين كان فرانك سيناترا الذى كان يستخدمه كمادة للسخرية واضحاك الزبائن بقفشات ساخرة لاذاعة، إلا أن هذه القفشات لم تعجب سيناترا وأثارت استياءه، ونقل هذا الإحساس لصديقه رجل

المافيا، وفى اليوم التالى لإعلان غضبه كان جاكى يجلس فى سيارته على قارعة الطريق مع إحدى صديقاته ليتقدم منه رجل ضخم الجثة، قوى البنيان، ويمد يده عبر نافذة السيارة، بلكمة قوية من يده التى كانت مكسوة بغطاء من الحديد، ليكسر أنف الفنان الكوميدى وفكه قائلاً فى لهجة حاسمة تخلو من أى رحمة: هذا مجرد تحذير فقط، والويل لمن يسخر من صديقنا سيناترا"!! والمفاجأة أن جاكى – النجم الكوميدى – المضروب – رفض أثناء التحقيق أن ينطق حرفاً واحداً مما سمع أو أن يتهم سيناترا لا يجرؤ أحد على معاداته!

إذا فإن سيناترا كان يريد (الحماية) من عصابات المافيا، أو أنه حصل عليها – ولو بالمصادفة – ولكنه قبلها ورضى بها!

دليل:

ومن الأدلة على علاقته بالمافيا ذلك الكتاب الذى صدر بقلم ابنة "سام جيانكانا" نفسه، وتدعى أنطوانيت وصدر الكتاب باسم "أميرة المافيا" وفى الفصل الذى يتحدث عن علاقة أبيها بفرانك سيناترا، تقول: إنه كانت بينهما علاقات مادية تتعلق بإدارة أحد الكازينوهات فى ولاية نيفادا المسموح

فيها بلعب القمار وذكرت نقلاً عن تقارير وكالة المخـــابرات الأمريكية (C.I.A) إن سيناترا كان يستثمر أمواله سراً مـــع "جيانكانا" – والدها.. وهو اتهام – إن صح – فإنه يلقى بتهمة التعامل المباشر بين سيناترا وزعماء المافيا، وهو نوع آخـــر من الاستفادة.. المال يا عزيزى!!

وذكاء سيناترا ولباقته هى التى جعلتـــه يـــرد علـــى سؤال: أنك تعامل رجال المافيا معاملة خاصة ولـــك صـــور معهم فقال: "مصافحة شخص ومعرفته شيئان مختلفان جداً.. إننى لم أكن أعرف حتى أسماءهم، فكيـــف لـــى أن أعـــرف عملهم أو تاريخ حياتهم؟". وعندما واجهه بتهريـــب مليـــونى دولار بواسطة رجل المافيا سيئ السمعة "تكى لوشـــيانو" رد عليهم: إذا استطعتم العثور على مبلغ المليونى دولار، فـــإنى أهبها لكم!"..

إجابات إن لم تكن صادقة فهى مدربة!

ومن بين الأسئلة التـــى تثـــأر فـــى حيـــاة ســـيناترا الشخصية هى: هل كان يعتزم حقاً الـــزواج مـــن مـــارلين مونرو؟

طبقاً لوجهة نظر كتاب جديد هو "سـينانرا الإنسـان فيما وراء الأسطورة" أن سيناترا اعتزم طلب يد مونرو قبل وفاتها بأسابيع قليلة قائلاً بثقة شديدة: إنه "لا أحد يستطيع أن يقترب منها إذا ما كانت زوجة سيناترا" ولاحظوا هذه الثقـة المفرطة التى لا ندرى هل اكتسبها من قربه مـن السـلطات السياسية أم من سلطة العصابات؟! وقد ذكر أن سيناترا حاول أن يشجعها على أن تبدأ حياتها من جديد مرة أخرى، ولكنها ردت بقولها الغامض "ولم المتاعب.. إننى لن أكون هنا لفترة طويلة"..

وبعد ذلك بقليل ماتت مونرو.. بيدها أو بيد غيرها!!

* * *



مارلين مونرو..

واللعب مع الرئيس

"الفنان بتكوينه وبطبيعة عمله طموح، وهو يسعى دائماً إلى (القمة)، والقمة ليس لها آخر، كما أنها لا تتسع لشخصين فكلما صعد إلى (فوق) أدرك أن هناك درجة أعلى لم يصل إليها، ولذلك فهو فى حالة سعى دائم، وسفر، وبحث عن المجهول.. يظل كذلك حتى يتوقف بفعل الزمن أو.. يسقط بفعل فاعل"

المفكرة الحمراء:

أن أكبر الألغاز فى حياة مارلين مونرو، والذى يثير عشرات من علامات الاستفهام حول تورطها – أو عدم تورطها – فى نشاط مخابراتى، وفى الوقت نفسه يضع علامات استفهام أخرى حول تورط أجهزة أو سلطات فى حادث مصرعها، ذلك الشئ هو ما قيل عن مفكرتها الحمراء التى تحتفظ بها حتى لحظة الوفاة المدبرة – سواء بمعرفتها أ، بمعرفة آخرين – وكان أحد أصدقاء مونرو وهو الفنان (روبرت سلاترز) شاهداً على حقيقة هذه المفكرة الحمراء التى اطلع عليها بنفسه عندما اتصلت به مونرو فى منتصف يوليو ١٩٦٢، وكشف سلاترز عن بعض محتويات هذه المفكرة فقال: المفكرة كانت تضم معلومات تتعلق بنشاط الحكومة الأمريكية وخطط الأمن القومى الأمريكى مثل إقدام إ>ارة جون كيندى على اغتيال الزعيم الكوبى فيدل كاسترو بواسطة عصابات المافيا وبعض المنشقين الكوبيين الموجودين على أرض الولايات المتحدة، كما ضمت المفكرة

الحمراء الخاصة بمارلين مونرو معلومات عـن التجـارب النووية، وكذلك معلومات عن تـورط المطـرب المعـروف فرانك سيناترا بعصابات المافيا ومعلومات عن حركة الحقوق المدنية للسود الأمريكيين التى كانت تهدف إلى القضاء على العنصرية فى المجتمع الأمريكى، ومعلومات أخـرى عـن مساعدات أمريكية للتمردين الكوبيين.

وعندما أبدى سلاترز دهشته من احتفاظ مونرو بمثل هذه المعلومات فائقة السرية، وتساءل فى قلق عـن مصـدر هذه المعلومات، قالت مونرو: إنها كتبت هذه المعلومات من أجل أن تبحث عن مزيد من التفاصيل حولها لتقرأها!

ولكن هذا الذى قالته مونرو لم يكن مقنعاً لصـديقها الذى استدعته فى هذا اليوم متوسلة، وقابلته متنكرة، كما لـو كان هناك من يطاردها.. وبالطبع فإنه لا يبـدو مقنعـاً لنـا أيضاً!

التليفون الغامض:

لم يكن هذا هو كل ما كانت تمتلكه مارلين مـونرو من معلومات سرية ودقيقة، بل إن بعض أصدقائها بالإضافة

إلى بعض المعلومات التى تسربت من التحقيقات فى قضيتها تؤكد أن لديها من المعلومات ما يتجاوز الحد المسموح به!

وأكثر من هذا، فإن أحد أصدقائها المقــربين كشــف عن أن مونرو كانت قد اتصلت به تليفونياً قبل انتحارهـــا أو مصرعها، وكشفت له عن معلومات فـــى لحظـــات ضـــيق وغضب وفضفضة، ووصف هذا الصديق أسرار مونرو التى أذاعتها له عبر الهاتف بأنه لو كشف عنها لاهتز العالم كلـــه لهذه الأسرار!

وبالطبع فإن هذا الاتصال التليفونى قد انقطع فجـــأة، وضاع صوت مونرو بدون سبب واضح مما يعطى إيحـــاء بأن تليفونها كان مراقباً (طبعاً) وهو ما كان يدعوها للاتصال بأصدقائها عندما تود مقابلة أحدهم خارج منزلها، بـــل إنهـــا كانت تلتقى بهم متنكرة كما سبق الإشارة!

ولم يكن هذا هو كل الألغاز المتعلقة بجهاز التليفـــون فى حياة مورنو، بل من أكبر الألغاز فـــى قصـــتها هـــو أن مارلين قد تم اكتشاف مقتلها بينمـــا هـــى تمســـك بســـماعة التليفون، مما دفع بالكثيرين ومنهم صحفيون – لأن يحـــاولوا الحصول على شريط التسجيل الخاص بمكالماتها الأخيرة عن

طريق شركة الاتصال، وكانت المفاجأة أن هناك من سبقهم إلى هذا بناء على طلب من روبرت كيندى وقيل فى ذلك أن الذين قاموا بالمصادرة هم قسم العمليات القذرة فى وكالة المخابرات المركزية فرع لوس أنجلوس.

والمثير فى الأمر أن الذى احتفظ بأشرطة تسجيلات المكالمات الأخيرة لمونرو هو وليم باركر الذى كان بيتز بها روبرت كيندى من أجل تنفيذ وعد الأخير للأول بأن يكون رئيساً لمكتب التحقيقات الفيدرالى "FBI".

فماذا كانت تحتوى هذه الأشرطة، ومع من كانت تتحدث مونرو لآخر مرة فى حياتها؟ وما هو وجه الخطورة من جراء هذه المكالمات؟

الدلائل تشير إلى أن مونرو أصبحت خطراً على السلطة بما كانت تعرفه وتخزنه سواء فى مفكرتها الحمراء أو فى ذاكرتها، وهى ذاكرة شابة لفتاة لعوب – لا أمان لها – فى السادسة والثلاثين من عمرها، أى فى سن المغامرة والمقامرة واللعب بالنار، خاصة لمن يمتلك طموح نجمة وصلت إلى رأس القمة المدببة، بالإغراء والعرى واقتحام أسوار الممنوع، ولكنها لا تكتفى بذلك، بل تبحث فى سماء

الشهرة عن مزيد من النجومية، وتلهو فى بلاط السلطة غير عابئة بالمخاطر والتى تحيط بها من كل جانب، رغم أن أطراف ثوبها قد احترقت بالفعل ولكنها رأت فى المخاطر تسلية، وظنت أن فى النيران دفء.

الأزمة:

ولكن إذا كانت لدى مونرو كل هذه المعلومات الحساسة والمخيفة عن آل كيندى فمعنى ذلك أن العلاقة بين الطرفين كانت علاقة حميمة ودافئة، فما الذى عكر صفو هذه العلاقة؟

بداية فإن العلاقة بين الفنان والسلطة هى علاقة مصالح ولا يمكن أن تتطور إلى ما هو أكثر من ذلك، الفنان يريد السلطة من أجل أن ترفعه وتسانده وتعلى من شأنه وتضى عليه بعضاً من نفوذها، والسلطة تستخدم الفنان على اختلاف درجات الاستخدام، إما بفنه أو بدائرة علاقاته.

ولكن..

هناك حدود يجب أن يقدرها الفنان بذكاء، فيعرف الخط الأحمر الذى عليه ألا يتجاوزه، فإذا تعدى هذا الخط ففيه نهايته.. ومع اختلاف النهايات تبعاً لمدى تجاوز الفنان،

ومدى خشونة السلطة! وتطبيقاً لذلك على قصة مونرو مع السلطة، يتضح أن أزمتها مع الرئيس الأمريكى الأسبق جون كيندى قد تفاقمت عندما غنت فى عيد ميلاده – فى شهر مايو السابق على مصرعها – "عيد ميلاد سعيد يا سيدى الرئيس"!

ومع انتشار هذه الأغنية تحولت الهمسات إلى أصوات عالية تتكلم عن علاقة مونرو الدافئة بالرئيس الأمريكى، فخرجت العلاقة من حيز الغرف الضيقة إلى الشوارع والبيوت والطرقات حتى وصلت إلى كل الآذان.

وتهددت المصالح السياسية للرئيس الأمريكى، وأصبحت المكانة الاجتماعية لآل كيندى فى خطر، والمستقبل السياسى دائماً أهم وأبقى من النزوات فى حياة السياسى المحنك، فصدرت على الفور الأوامر العليا يا جبار مونرو – مهما كانت إغراءات اللقاء بها – على عدم الاتصال بالرئيس سواء كانت اللقاءات حية أو صوتية وتم إبلاغها بالقرار بطريقة فيها قسوة وفظاظة.

والغريب والمثير أن شقيق كيندى – بوبى – حاول أن يستغل بعد مونرو عن الرئيس، بأن يقيم معها علاقة من

نوع خاص هو الآخر، إلا أن مونرو قابلت ذلــك بـــازدراء ورفض شديدن.

وتم تسريب خبر مفاده أن مــونرو كانــت تســعى لتطليق جون كيندى - الرئيس - من زوجته جاكلين كينــدى - الشهيرة بـــ جاكى - لتتزوج هى منه، ولعلـــه كـــان فـــى مخيلة مونرو إن صحت هذه الرواية قصة الســندريلا التـــى جاءت من القاع لتتزوج من الأمير الذى تحدى مـــن أجلهـــا التقاليد الصارمة.

وكان لصدورها هذا الأمر الرئاسى بمنع مونرو من الاتصال بالرئيس الأمريكى أثراً سلبياً، أصابها بشرخ نفسى عميق، استلزم مزيداً من العقاقير المهدئة طلباً لبضعة ساعات من النوم الهادئ الذى حال اضطرابها الشديد بينها وبينه.

ماكياج كامل:

كانت مونرو تدرك أنها رمز للأنوثة الطاغيـــة، وأن ها هو بالأساس سر شـــهرتها، وســـبب إقبـــال المشـــاهدين والمعجبين عليها رجالا ونساء، لقد وجدوا فيها التـــى تهـــتم بإبراز أنوثتها طوال الـــ٢٤ ساعة يومياً، وأنها المرأة التـــى تعرف كيف تفتن الرجال دوماً، ولذلك كانت أغرب وصـــية

لمونرو أن طلبت من الماكيير - أخصائى التجميل - الخاص بها أن يعمل جاهداً على إدخالها القبر بكامل ماكياجها لتبدو ملكة متوجة حتى وهى فى طريقها إلى المقابر.

حتى فى الموت!

لقد طلبت من الماكيير ذلك قبل وفاتها بعشر سنوات، أى فى عام ١٩٥٢، وكانت قد أجرت عملية استئصال للزائدة الدودية، ولم يعجبها الشحوب الذى كانت عليه بسبب إجراء العملية البسيطة، فطلبت من ماكييرها القيام بواجبه، ثم أوصته بتلك الوصية عند وفاتها، وظلت تذكره بها كلما جاءت الفرصة لذلك!

والغريب أن القتيلة النجمة التى دخلت إلى مقبرتها ملكة فى كامل ماكياجها، لم يتقدم أحد من أسرتها لاستلام جثمانها!

ودفنت مونرو إلى جوار إثنين من أمهاتها بالتبنى هما جريس ميكى جودارد والأخرى أنا لوار التى كانت مونرو تناديها العمة لوار.

قنبلة:

وفى ملف مارلين مونرو "الأمنى" مذكرة غاية فى السرية صادرة عن مكتب المباحث الفيدرالية فى مدينة مكسيكو سيتى، كان عنوان هذه المذكرة "مارلين مونرو.. قضية أمنية" والمذكرة من إعداد القسم (C) الخاص بمكافحة الشيوعية، والمذكرة مؤرخة بتاريخ ١٩٦٢/٧/١٣ أى قبل ثلاثة أسابيع من نهاية مونرو – بالانتحار أو بالتصفية – وقد تضمنت المذكرة تناول المشاكل السياسية الدولية، ومن بينها الدمار والفزع الذى تسببه "القنابل النووية الهيدروجينية" وكان هذا هو أول تسريب لهذا الخبر الذى انتقل إلى السوفيت، فقد كان هذا النوع من القنابل غير معروف حتى هذا الوقت. أيضاً أشارت المذكرة إلى العلاقة التى كانت تجمع بين مونرو مع العميل السوفيتى فاندبلت فيلد، وطبقا لما جاء فى كتاب "الجريمة الكاملة.. مارلين مونرو.. الموت بأمر الرئيس" من أن "هناك وثيقة صادرة عن قسم مكافحة الجاسوسية بوكالة الاستخبارات المركزية (C.I.A) تحمل توقيع "جيمس جيسوس انجلتون" وتشير هذه الوثيقة إلى زرع معدات للتنصت الالكترونى داخل منزل مارلين مونرو فى الوقت نفسه يكشف ملف فاندربلت فيلد فى الفترة من يونيو

إلى يوليو ١٩٦٢ أى قبل إجراء تفجير القنبلة الهيدروجينية الأمريكية، ويعزز هذا الأمر المشكوك فى حقيقة الدور الذى لعبته مونرو أثناء علاقتها الغرامية العاصفة مع الرئيس وشقيقه" وكذلك أوضحت التقارير أن عدداً كبيراً ممن هم على علاقة وثيقة بمارلين يشتبه فى كونهم جواسيس محترفين عجزت المخابرات الأمريكية عن الإيقاع بهم وهذه المعلومات تم الكشف عنها بالفعل بعد سقوط الاتحاد السوفيتى السابق.

وكانت هذه المعلومات أشد انفجاراً من القنبلة الهيدروجينية فى وجه الرئيس الأمريكى جون كيندى وشقيقه بوبى.

هذا كله لا يفسر ولا يبرر ما حدث لمونرو يوم ٤ أغسطس ١٩٦٢ وبثته وكالة الأسو شيتدبرس فى هذا النبأ العاجل:

"مارلين مونرو. الشقراء الجميلة. النموذج المشرق للمرح ولحياة هوليوود ماتت بصورة مأساوية بعد أن عثر عليها عارية فى السرير وهى تقبض بإحدى يديها على سماعة الهاتف وعلى مقربة منها زجاجة حبوب منومة

فارغة من محتوياتها. وأضاف النبأ: "مارلين مونرو التى كانت فى السادسة والثلاثين عانت لفترة طويلة من اضطرابات نفسية وثمة احتمال لانتحارها" إن الخبر يحمل تلميحات انتشرت لفترة طويلة حول انتحار مونرو عن طريق تعاطيها لجرعة هائلة من عقار منوم، ولكن المعلومات التى تم الكشف عنها وشارك فى تحليلها الحسابات الآلية العملاقة قالت: إن نسبة الـ ٤,٥ ملليجرام من "الباربيتيوريت" التى وجدت فى الدورة الدموية لمونرو، كانت تتطلب أن تبتلع مونرو ما بين ٥٢ إلى ٨٩ حبة العقار عن طريق الفم، فى حين لم يعثر على أثر لهذه المادة السامة فى المعدة أو فى الأمعاء الدقيقة. وتوصل التحليل إلى ضرورة أن وصول هذه المادة كان عن طريق الحقن وأن ذلك لابد أنه تم بطريقة بارعة حتى لا تظهر آثار الوخز فى شرايين مونرو..

هذه المعلومات وتحليلها العلمى الدقيق لو صحت، فإنها تكون الدليل القاطع على أن وفاة مونرو كانت عمداً ومع سبق الإصرار والترصد، والفاعل هنا محترف لمثل هذه النوعية من العمليات القذرة..

فمن قتل مارلين مونرو؟

قبل أن نتحيز فى القديم إجابة علينا أن نسأل أولاً.

ماذا كانت تريد مارلين مونرو.. مــن الفــن ومــن السلطة؟

بل وماذا يريد النجمات والنجوم الذين حذوا حــذوها وحاولوا اللعب مع الكبار؟

"تم بحمد الله"

* * *

صدر للمؤلف

١- محمد عبد الوهاب.. نساء وألحان.

٢- المُغنى.. قصة صعود عمرو دياب. (دار الخيال)

٣- ألعاب مصرية. (صادر عن دار الهلال)

٤- الفنانون والمخابرات.

تحت الطبع:

- جورج سيدهم والثلاثى.. ٤٠ عاما من الضحك.
- موسوعة ألعاب الطفل المصرى.